« لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إِلاَ وِسْعَهَا لهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ
رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذنَا إِنْ نَسَيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا وَلاَ تُحَمِلْ عَلَينَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا به وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا
عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ »

البقرة الآية 286

كلمة شكر

الحمد لله الذي بمشيئته تتم الصالحات وبتوفيقه نصل إلي القمم الشامخات و بإرادته تتحقق الأمنيات.

فعندما نعبر شطّ العمل الدؤوب، لا يهيم في داخلنا سوى لأولئك الذين منحونا العزم تلو العزم لنتخطى الصّعاب، ونقف واثقي الخطى لنشاطرهم الإبداع حرفا و لغة، لا يسع الحروف إلاّ تمزج لتكون كلمة شكر.

إلي الأستاذة لطرش صليحة

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور رابح ملوك الذي ساعدنا في بحثنا هذا.

إلى كل من علمنا لغة الضّاد وكذلك

إلى الذي تعب معنا في هذا العمل

بوضع اللمسات الأخيرة له مطبوعة الأخ علي الورعادي.

إهـــداء

أهدى ثمرة هذا العمل إلى:

إلى التي رآني قلبها قبل عينيها ،و حضنتني أحشاءها قبل يديها.

إلى التي ملكت حواسي و إحساسي ،و احتوت عقلي و أفكاري.

إلى النبع الصافي و الحب الصادق.

إلى المربية الفاضلة.

إلي الشمس الوضاءة التي أنارت لي دروب النجاح في الحياة.

إليك أمي الغالية.

إلي قدوتي الأولى و نبراسي الذي ينير دربي.

إلى من علمني أن أصمد أمام أمواج البحر الثائرة.

إلى من أعطاني و تم يزل يعطيني بلا حدود .

إلى من رفعت رأسي عاليا افتخارا به.

إلى المربي الفاضل الذي نسج لي طريق النجاح في حياتي.

إليك أبي العزيز.

إلى توأم روحي أختي صبرينة و مدللة والدي حبيبتي فريال.

إلى الحبيبين الغاليين اخوي حسام و هشام.

إلي احن قلبين خالي حكيم و زوجته الغالية غنية و فلذة كبديهما عز الدين و عماد الدين.

إلى خالاتي زبيدة ، فايزة،حياة.

إلي صديقاتي اللاتي جمعتني بهن دروب الصداقة والمحبة زينب، فطيمة ، فاطيمة.

إلى من قاسمتني هذا العمل صديقتي و أختي أمينة.

نورة

إهـــداء

إلى الذي أنشأني، قدرني و هداني إلى إتمام هذا العمل المتواضع: ربي.

إليك يا مملكتي العظيمة، يا حنان الأيام وبر الأمان، إليك يا من غمرتني بعطفك وحنانك زرعت بنفسي حب الخير، إليك أهدي حبي وقلمي وورقي وجهدي وعمري وأهديك أجمل كلماتي و نغمات نفسي و إحساسي، أهديك عمري، يا ليالي حياتي ونور دربي وسنين

أمي الغالية

إلى النجم الساري في سما أفقي، إلى الغالي الذي سكن في أعماقي إلى منبع الخير الدافق والحنان الدائم ، إلى من أعطاني ولم يزل يعطيني بلا مقابل

إلى المربي الفاضل الذي نسج لي طريق النجاح في حياتي، ربما لم أبرك تمام البر لكني أعلم أن قلبك أكبر من أي بر، رعاك المولى وجزاك من الثواب أجزاه

أبي الغالي

إلى إخوتي: توفيق ، محمد، عماد.

إلى أختي المدللة: صبرينة

إلى أختي التي دخلت القفص الذهبي أم الخير وإلى مفتاح قفصها ناصر

إلى التي كانت بمثابة الأخت وتحملت معي حلو الحياة الجامعية ومرها : خديجة

إلى نصفي الثاني وصديقة عمري التي شاطرتني تعب هذا الانجاز: نورة

إلى صديقاتي: ذهبية، هدى، فاطمة، سمية.

إلى من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي

أهدي هذا العمل.

أمينة

مقدمة:

استهدفت الحملات الاستعمارية بلدان المغرب العربي خلال القرن التاسع عشر من بينهم الجزائر التي كانت في الطليعة، والهدف من هذه الحملات هو طمس الشخصية الوطنية وتضليل التاريخ، الأمر الذي حفّز نمو النزعة الوطنية والقومية في الأدب عامة والشعر خاصة.

حيث دفعت الوطنية الشعراء إلى مسايرة الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية، قصد جمع شتات أفراد المجتمع الجزائري وتوحيد كلمته، واتّخاذه الموقف الثوري الذي جسّده فيما يعرف " بالشعر الوطني" ، وهذا ما سلّطنا الضوء عليه بحثا وتنقيبا من خلال بحثنا هذا والمتمثل في الوطنية في شعر رمضان حمود واتخاذنا قصيدة " دمعة على الأمة " أنموذجا التمسنا فيها حبه وغيرته على وطنه الأم ألا وهي "الجزائر ".

وكانت غايتنا في هذا البحث طرح عدة إشكاليات تمثلت في جملة من التساؤلات منها:

من هو رمضان حمود؟، ما المقصود بالوطنية؟ ، ما أبعادها وما هي العوامل المساعدة في تطورها؟ ، وفيما تتمثل خصائصه الفنية من خلال قصيدته "دمعة على الأمة" ؟.

وللوصول إلى الإجابة عن هذه التساؤلات ارتأينا أن نضع لها خطة بحث تتكون من مقدمة مدخل، وثلاثة فصول، فخاتمة.

المقدمة كانت عبارة عن عرض لإشكالية البحث والمنهج المتبع فيه، أما المدخل فخصصناه لدراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية الفكرية إبّان رمضان حمود.

وكان الفصل الثاني بعنوان " نبذة عن حياة رمضان حمود "، تناولنا فيه حياته وثقافته شخصيته، شعره وشاعريته.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان " الوطنية في الشعر الجزائري " تطرقنا فيه إلى مفهوم الوطن والوطنية، وعوامل تطورها فأبعادها.

وفي الفصل الثالث حاولنا فيه تحليل أنموذج من قصائده تحت عنوان " دمعة على الأمة" من خلال مستويات ثلاث ألا وهي المستوى التركيبي، ثم المستوى الدلالي فالإيقاعي.

وكانت الخاتمة بمثابة نتائج لخصت مضمون البحث، وأعطت نظرة حول مفاهيم الوطنية ومدى تجليها في شعر رمضان حمود وانعكاسها على نفسيته.

وفيما يخص المنهج المتّبع في هذا البحث، استخدمنا المنهج التحليلي الوصفي الذي يتلاءم مع موضوع الدراسة.

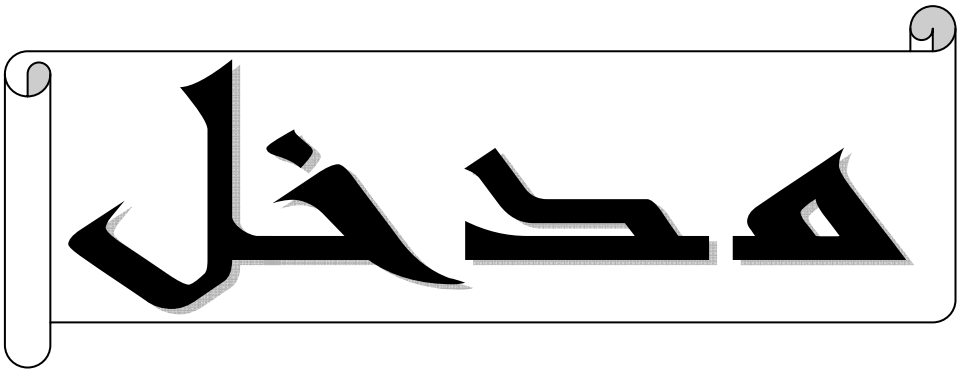

الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية، الفكرية في

الجزائر إبان حياة "رمضان حمود"

1- الوضع السياسي:

لقد كانت الحملة الفرنسية على الجزائر تشمل كل الممارسات التي تقوم بها دولة ضد دولة بغرض احتلال أراضها، واستغلال ثرواتها، ومحو شخصيتها، وإتخاذها كقاعدة عسكرية لحماية مصالحها، إذ كانت هذه الحملة تستهدف الشّعب جسما وروحا من خلال المجازر الرهيبة التى طبقت في حق الشّعب الجزائري.

وبذلك يصف توفيق المدني هذه السياسة وما تحتويه من قوانين غاية في الصرامة في كتابه " تاريخ الجزائر " بقوله: "جملة الأنظمة والقوانين الرهيبة".[1] ، إذ هذه الأخيرة (فرنسا) جعلت الجزائريين يثورون من وقت لآخر تعبيرا عن غضبهم، وذلك لما جاءت به تلك السياسة الجائرة والتى تتضمن مجموعة من الأهداف المتمثلة في : صنع الجزائر فرنسية، طمس التاريخ والشخصية الجزائرية وإزالتها من الاعتبار، بالإضافة إلى قهر أي نوع من أنواع المقاومة واستخدام كل الأساليب والوسائل للوصول الى ذلك الهدف. [2]

إلاّ أنّ الحرب العالمية الأولى كان لها تأثير كبير في ترقية مستوى الشّعب سياسيا، وذلك من خلال هجرتهم الى أوربا التي خلقت فيهم وعيا قويّا جعلهم يشعرون أنه من حقّهم الحصول على المساواة في الحقوق [3] ، مما أدّى إلى ظهور أحزاب وطنية كان لها كبير الأثر في تغيير مجرى الأحداث السياسية وذلك من خلال المطالبة بحقوقهم المتمثلة في: الاستقلال الكامل للجزائر، حرية الصحافة، المساواة في الخدمة العسكرية، إنشاء جيش وطني بالإضافة الى دلك حق التمتع بجميع مستويات التعليم وإنشاء مدارس عربية.[4]

هذا الوضع انعكس على حياة الشّعب الجزائري، فأدّى إلى ظهور مطالب عدّة جاءت كرد فعل على المأساة التى قامت بها فرنسا في حقّ الشّعب الجزائري، والتي كانت نتيجة لتفتح في الرؤية السياسية، حيث كانت لهذه الأخيرة أبعاد وأصداء في الأفكار والأقلام، إذ أنّ أي اتجاه سياسي لا يمكن أن ينجح ويشتهر إلا في مناخ فكري يساعده ويمدّه بالوسائل اللاّزمة ليحقق هدفه ألا وهو تحسين وضع الشّعب الجزائري في جميع الميادين.

1- صالح خرفي،"في الأدب الجزائري الحديث"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1983 ص 23.

2- أبو قاسم سعد الله،" أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر"، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ج2، 1986 ص 105.

3- عمار بوحوش،" التاريخ السياسي للجزائر من البداية" 1962، دار الغرب الاسلامي بيروت، ط1، ص229.

4- أحمد الخطيب، "جمعية العلماء المسلمين الجزائرين وأثرها الإصلاحي في الجزائر"، طبع المؤسسة الوطنية رغاية، د ط 1985، ص 48.

2- الوضع الاجتماعي:

لقد كان الاستعمار الفرنسي نقطة سوداء في تاريخ الجزائر، لما ألقاه من ظلم واستعباد للجزائريين في جميع الميادين، هذه القساوة الجائرة والضمير المنعدم كان له آثار سلبية، أدت إلى أوضاع إجتماعية مزرية يتخللها الفقر والجهل والمرض، وفي هذا الصدد يقول أحد الكتّاب الجزائريين: "لقد تسلّط على الأمّة عوامل ثلاثة، لو تسلّط عامل واحد منها على أمة كبيرة لزعزع ركنها وهدّ بناءها، ألا و هي الجهل، الفقر، والفرقة، فالجهل أفقدها شعورها بوجودها وكيف تذب عنه، والفقر أقعدها عن العمل، وشلّ أعضاءها عن الحركة والإفتراق أذاب قوّتها وذهب بريحها فبقيت والحالة هذه عرضة للتلف والإضمحلال والهلاك، وهي نتيجة طبيعية لتلك الحالة المحزنة التى جرّ إليها الظلم والإستبداد ".[1]

فللاستعمار وجهان، وجه ظاهر يعبر عن مبادئ إنسانية تهتم بتحسين الظروف المعيشية لأفراد المجتمع، ووجه خفيّ يحمل في طيّاته كل الوسائل اللازمة للقضاء على الشخصية الوطنية والفكرية وفي هذا يقول البشير الإبراهيمي: "جاء الاستعمار الفرنسي إلى هذا الوطن كما تجيئ الأمراض الوافدة، تحمل الموت وأسباب الموت، والاستعمار سّم يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح".[2]

هذه الحالة الاجتماعية السيّئة التي بلغت من هولها أن أيقضت الشعور الوطني في نفوس الجزائريين، وأدّت إلى صحوة ويقضة في اللسان والقلم فكان لها أبعاد في الحياة الفكرية والأدبية، إذ أصبحت للمقالات الأدبية في الصحف الوطنية صوت مسموع، نظرا لما تتضمنه من صرخة مؤلمة، معبرة عن أوضاع مجتمع أهلكه الفقر والجهل.

3- الوضع الديني والفكري:

إنّ للاستعمار مصالح رئيسية يسعى إلى تحقيقها في البلاد المستعمرة، ولتجسيد هذه المصالح لابد أن يستهدف النّواة التي تربط أفراد المجتمع ألا و هي "الدين".

وهذه هي غاية الإستعمار الفرنسي في الجزائر، إذ يعتبر الدّين الإسلامي الهدف الثاني بعد الوضع السياسي الذي ركزّ الاستعمار عليه ضغطه، معتبرا أنّه لا يمكن أن يكون هناك إستقرار سياسي إلا بإجراء تحويل ديني، إذ لم يكن للمسيحية فليكن إلى الإنحلال فبدأ المحتل بإتّباع سياسة واضحة للقضاء على الشخصية الدينية للجزائر، والتي تمثلت في القضاء على المساجد أو تقليصها، والإستلاء على الأوقاف الإسلامية ودعم التبشير المسيحي.[3]

1- صالح خرفي،"الشعر الجزائري الحديث"، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية، د ط، 1984، ص 16.

2- أحمد الخطيب، " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر" ، ص 81.

3- المرجع نفسه، ص 63- 64 .

هذا في مجال الوضع الديني، أما في الجانب الثقافي الفكري فقد عمل المحتل على إهمال التعليم العربي وتعويضه بالفرنسي من أجل طمس الشخصية الوطنية، حيث يصف "محمد فريد" حال التعليم في الجزائر فيقول: "إنّ حال التعليم في الجزئر سيئة جدا، ولو استمر الحال على هذا المنوال لحلّت اللغة الفرنسية محل العربية في جميع المعاملات...هُجرت ربوع العلم، وخُربت دور الكتب، وصارت الديّار مرتعا للجهل والجهلاء".[1]

كما عرفت هذه الفترة بعثات تعليمية إلى خارج الجزائر، حيث خلقت جوّا ثقافيا وفكريا ذو روح جديدة، وجعلته يتميز بالحيوية والنشاط، وفي هذا الموضع يقول صالح خرفي في كتابه مدخل إلى الأدب الجزائري الحديث: "هذه الروافد الفكرية المتعددة سواء ما شرق منها أو ما غرب، تلك التى تنبع من الشرق العربي، ومن نقاط إلانبعاث الإصلاحي فيه... هذه الروافد بمختلف منابعها، وإتّحاد مضيّها، استطاعت أن تطعم الجوّ الفكري في الجزائر بحيوية ونشاط..." [2]

بالإضافة إلى البعثات العلمية، شهدت هذه الحقبة أيضا نشاط فكري آخر ألا وهي الصحافة، إذ برزت عدة صحف وطنية كان لها كل الأثر في توعية وتقويّة الشعور القومي ومن هذه الصحف نجد الإصلاح 1927، الشّهاب 1929، وادي ميزاب 1926، إضافة إلى الجمعيات والنوادي الثقافية الفكرية التى غذّت النشاط الفكري مثل نادي الترّقي 1926 .

وهكذا رسمت الحرب العالمية الأولى، معلما بارزا في حياة الجزائر السياسية والإجتماعية والدينية الفكرية، لما صحبته من إنفتاح وتطلع على أوضاع العالم من ثورات ووعي وطني فكانت نتيجته أن زادت الشعور بالثقة في تغيير أوضاع المجتمع في جميع المجالات، فراحت تحرّك شعور الأدباء والمفكرين لما صحبته من ألم على أوضاع مجتمع أهلكه الجشع الإستعماري، فانفجرت قريحتهم الشعرية الثائرة بروح وطنية، وهذا ما نجده عند "رمضان حمود" إذ نلتمس روحه الشابّة الثائرة الغيورة على حبّ الوطن من خلال قصائد كثيرة ومن بينها "دمعة على الأمّة".

1- أحمد الخطيب، " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر"، ص71 .

2- صالح خرفي،" في الأدب الجزائري الحديث"، ص61 .

الفصل الأول

السيرة الذاتية لرمضان حمود

1-حياته وثقافته.

2-شخصيته.

3-شعره وشاعريته.

حياتــه وثقافته:

إنّ الجزائر غنيّة بالأدباء المفكرين الذين كان لهم دور كبير في ترقية وتنشيط الحياة الثقافية، ومن بينهم رمضان حمود بن سليمان بن قاسم، شاعر وكاتب، عرف بآرائه الثوريّة وأفكاره التقدميّة في الأدب والإجتماع، ولد سنة 1348هـ – 1906م في مدينة غرداية بالجنوب الجزائري وهي تمتاز عن غيرها من المدن الجزائرية بخصوصيات عديدة كحفاظها على تقاليدها عاداتها.[1]

ولقد كان لتنشئته الصالحة كبير الأثر لوالده وجده و والدته، وذلك لما زرعوه فيه منذ الصغر من استقامة في الدين وتمسّك بالأخلاق الكريمة، وحبّ الوطن.

لم يكد رمضان حمود يبلغ من التحصيل العلمي حتى أخذه والده إلى مدينة غليزان وأدخله إلى إحدى المدارس الفرنسية حيث أظهر الفتى حمود تفوقا في الدراسة لفت إليه إعجاب أساتذته فحظّوه بحظوات، وشجعوه على الدرس والإجتهاد فطوى باجتهاده وموهبته في عامين ما يطوي غيره في أربع سنوات.[2]

لكنه اصطدّم فيما بعد سياسة تعليمية جديدة تجمع بين طرفين، أولّها: الطريقة الفرنسية وهي عصرية المناهج والأساليب ولكنها تهدّم الروحيات والمقومات الشّخصية فعن هذه الطريقة يقول: " لا تنبت شيئا، وإن نبت، فالشّوك والحنطل من سوء الأخلاق، والتذبذب والخروج عن الجاد".[3]

أما الطريقة الثانية، وهي التعليم العربي الحر، والذي كانت تعرف به المساجد والكتاتيب، وبعض المدارس الخاصة، فهو عقيم الأساليب ضعيف المناهج، يقحم المعلومات في عقله الصغير بالحفظ الببغائى وعنها يقول رمضان حمود : " أربع أعوام قضيتها في حفظ القرآن، فلم أنل منها في النهاية، إلاّ صورا مرسومة في دماغي لا أفقه منها شيئا، على أنّني لم أكن أحفظها إلاّ لما تقدم من إضطهاد المعلّمين لتلاميذهم عند تلقين كلام الله لهم ". [4]

وبعد ذلك انتقل إلى تونس التى كانت آنذاك قبلة كل شغوف للمعرفة، وكعبة يحج إليها النجباء من الطلبة، فانظّم إلى أفراد البعثة العلمية، ولما بلغ سنّ السادسة عشر برزت مواهبه الشعريّة بفضل المطالعة المستمرة، والأندية الأدبية التى كان منخرطا فيها، ودخوله العديد من المدارس، كمدرسة السّلام، المدرسة القرآنية الأهلية...

1- عادل نويهض، "معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر"، مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر – بيروت – لبنان، ط 2، 1980، ص 153.

2- محمد ناصر،" رمضان حمود حياته وآثاره" ، طبع بمطبعة دار هومة، الجزائر، ط 2 ، 2008، ص 15 .

3- المرجع نفسه، ص 16.

4- المرجع نفسه، ص 16- 17.

وهكذا تحصل على ملكة لا بأس بها في الإنشاء، وملأ قريحتّه بالمحفوظات شعرا كانت أم نثرا، كما تلّقى دروسا في التشّريع والعلوم الطبيعية، والتاريخ، والحساب...

ثم رجع إلى الجزائر لإتمام نصف دينه، وفي نفسه رغبة في البقاء لمواصلة التعليم فانكبّ على كتابة الشعر والمقالات والخواطر.[1]

وهكذا فإنّ تنوع ثقافة رمضان حمود كانت من العوامل التى ساعدت على ثراء موهبته الأدبية، ونموّها نموا واعيا، إذ لم يظل حبيس التراث يبكي على أطلاله، كما أنّه لم ينبهر ببريق الثقافة الأجنبية وخاصة الفرنسية، والتى قرأ لبعض معالم ثقافتها ورواد أدبها مثل لامارتين وأديب فرنسا الكبير هيجو، وإنّما كان اتصاله الواعي الذي يبحث عن الكنوز الأدبية ليصقل بها أسلوبه ويعمق تجربته الأدبية . [2]

كما كان أيضا للمدرسة الرومانسية الأدبية الفرنسية، تأثيرها في رمضان حمود، لما اتّضح في معالمها من ثورة على الأشكال الأدبية القديمة، فدعى بدوره إلى التجديد في الأدب العربي والإستفادة من الآداب المعاصرة.

يقول الدكتور عمر بن قينة في هذا الصدد: " وهو إن لم يفلح في أن يقرن دعوته النقدية للتجديد بنماذج شعرية له متعددة موفقة، فقد عبّرت محاولته النقدية والشعرية معا عن حاجة إلى تجاوز الإطار التقليدي الذي فرض رتابته الشكلّية والفكرية. [3]

وقد خلّف رمضان حمود عملا أدبيا نثريا وكتابان في النقد هما:

أ – قصة (الفتى) التى نشرها في العشرينات، ولم تمهله المنيّة لاستكمال نصفها الثاني، وهي ترجمة شخصية للشاعر، وطفولته ودراسته، وتنقله بين غرداية والتحاقه بتونس لاستكمال الدراسة في مدارس حرمت منها الجزائر، ثم العودة إلى وطنه نتيجة المرض الذي أودى بحياته.

ب – كتاب (بذور الحياة) وقد ضمنّه مجموعة من المقالات والخواطر في الأدب والحياة، أما إنتاجه الشعري فترك لنا حوالي ثلاثين قصيدة منشورة وموّزعة في بعض الجرائد الوطنية كجريدة الشّهاب، ووادي ميزاب، غير أن مرض السّل الذي بدأ ينهش جسمه، أذاقه مرارة الألم مدة سبع سنوات. وقد نصحه الأطباء بالإبتعاد عن كل عمل فكري وجسدي، إلاّ أنّ هذا المرض وضع حدا لحياته سنة 1348هـ – 1929م .[4]

1– محمد ناصر، " رمضان حمود الشاعر الثائر"، المطبعة العربية، ط 1 ، 1978 ، ص 18.

2– شريبط أحمد شريبط " معجم أعلام النقد العربي في القرن العشرين "، مخبر الآداب المقارن والعام ، جامعة باجي مختار، عنابة، د ط، ص 139 – 140.

3– محمد بوزواوي " موسوعة شعرا العرب"، دار هومة للنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، د ط، 2010 ص 131.

4– المرجع نفسه، ص 132.

يقول عبد الملك مرتاض:" عُرف الشّاعر حمود رمضان بجملة من الخصائص والصفات منها أنّه من الشّعراء الذين ماتوا قبل سن الثلاثين ومنها أنّه كان من الوطنيين الجريئين".[1]

وهذا معناه أنّه توفيّ في سنّ الثالثة والعشرين وهو من بين الشّعراء الذين ماتوا قبل سنّ الثلاثين أمثال أبو القاسم الشّابي وغيرهم ذوي العقول النابغة.

2 – شخصيته :

رمضان حمود أديب جزائري، تضافرت عوامل عدة كان لها كبير الأثر في تكوين شخصيته وتوجيه تفكيره ونظره ليخرج في النهاية إلى مفكّر استطاع بذكائه ووعيه أن يترك أثرا وبصمة في تاريخ الأدب الجزائري.

وتعتبر البيئة أحد العوامل المهمة في تكوين الشخصية وفي هذا الجانب يصف الدكتور محمد ناصر أثر بيئة مدينة غرداية في تكوين شخصية رمضان حمود فيقول : " ... في بيئة محافظة عُرف أهلها بتمسّكهم الشديد بالدّين، وبغيرتهم المتقّدة على الإسلام وقد حددت هذه البيئة منذ سنتي حياته الأولى خطواته ووجهت تفكيره ونظره ".[2]

كما تعتبر الثورة في الأفكار من مميزات شخصية رمضان حمود إذ ما يلفت النظر في شخصيته، الثورة التى عرف بها في كل أفكاره وما تحويه من ثورة على الجمود الفكري، ثورة على التقليد الغربي، ثورة على العمود الشعري...ثورة على الاستعمار الفرنسي إلى آخر الثورات التى كانت جزءا من حياته .

هذه الثورات التي تمثل روحه الثائرة تعود إلى ما عرف به منذ صغره من طموح وشغف بالإستقلال الفكري، حيث أن رمضان حمود كان يرى منذ صغره أنّ : " المرء لا ينجح في حياته ولا يبلغ غايته إلاّ باتخاذه رأيا خاصة تزنّده قريحته الوقادّة، فإن أصاب المرمى فذاك وإن أخطأ فالتجربة تربيه وتهذّبه". [3]

كما عرف رمضان حمود بحبه للحريّة والانطلاق ومقتّه للنفوس الذليلة المتراخية، وإعجابه العظيم بالنفوس الشجاعة وقد امتزجت هذه الصفات في دمه منذ الصغر حيث سماعه الحكايات التى ترويها جدته، فكان لا يستحوذ على إهتمامه سوى الحكايات التى كان موضوعها ذكر الشجعان والأبطال والحروب.

هذا الميل المسّيطر على نفسه هو ما يفسّر لنا شغفه العظيم بمطالعة سير العظماء من الرجال، وتتبعه لتاريخ الشخصيات الوطنية شرقية كانت أم غربية.

1– عبد الملك مرتاض." معجم الشعراء الجزائرين في القرن 20" ، مطبعة دار هومة، بوزريعة، الجزائر، د ط ص 414.

2– شريبط أحمد شريبط ،" معجم أعلام النقد العربي في القرن العشرين "، ص 138.

3– محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره "، ص 18.

وفي ذلك يقول عنه مفدي زكريا: " أتذّكر أنّنا كنا عقدنا تحالف على أن نسرد تاريخ مصطفى كامل المصري في مدّة خمس عشر يوما، فأتينا عليه قراءة بإستغراق جميع أوقات النهار... " كما أنّه كان كثير الاستشهاد بقول الرّصافي :

إذَا مَا سَمَائِى جَادَ بِالذُّلِ غَيْثُهَا أَبَيْتُ عَلَيْهَا أَنْ تَكُونَ سَمَائِيًا

كما عرف أيضا بحبه العميق لوطنه، فالوطن عنده دم يسري في عروقه إذ كان شديد التأثر بالزعيم المصري سعد زغلول لما رآه فيه من حب كبير للوطن حيث يقول: " أحبّ وطني حبّا جمّا، ولو تراكمت الخطوب على فوق أرضه ومسّنى من العذاب أليمه، فهو ملكي وأنا ملكه أبكي عليه كلما شكا، أحبه ويحبني فهو عين وأنا نورها، وهو صوت وأنا صداه... عشقته وإن كنت لا أعرف العشق قبله".[1]

ولقد عرفت هذه الثورة (وطنيته) التى طبع بها رمضان حمود والتى تكون في طبيعتها غالبا ما تتسم بالغضب والعنف، غير أنّ الدّين الإسلامي الذي تشبّع به رمضان حمود منذ الصغر، وتفهمه العميق له لما يحفظه من التهور، صقل ثورته فأصبح تقيا وورعا ونزيها ويتجلى ذلك في بغضه الشديد للمتخلقين بالأخلاق المنافية للإسلام ولقد عبّر مفدي زكريا عن هذه الميزة التى طبعت شخصيته حيث قال : " ... أنّه كان ثوريا في جميع آرائه وأفكاره، إلاّ على الدين، فأيما عود عجمته منه إلا ووجدته يتقّد نارا وغيرة ". [2]

وفي هذا يقول رمضان حمود: " لا نقدر أن نسير بدون دين لأنّه هو المحرّك الوحيد للقيام بجميع الواجبات... إنّ للدين قوة معنوية تكهرّب المرء وتبعث فيه روح الأمل والإقدام على الدواهي وعدم الخوف من أي قوة كانت ". [3]

هذه الغيرة على الدين هي مفتاح شخصية حمود لأنّه كان يدرك إدراكا واعيا ما لهذا الدين من فعالية في توجيه سلوك الناس وتكوين شخصياتهم .

3- شعره وشاعريته

مفهوم الشعر لدى رمضان حمود:

يقول رمضان حمود في تعريف القدامى للشعر، والذين نظروا إليه على أساس أنه الكلام الموزون المقّفى ولو كان خاليا من معنى بليغ وروح جذابة (... واعتبارهم الكلام المنثور ليس

1- محمد ناصر، " رمضان حمود الشاعر الثائر " ، ص 21.

2- محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره" ، ص 22.

3- المرجع نفسه، ص 23.

شعرا، ولو كان أعذب من الماء الزّلال وأطيب من زهور التلال، ماهو إلاّ ظّن فاسد واعتقاد فارغ وحكم بارد).[1]

لأنّ الشّعر في رأيه لا يختلف عن تعريف "شابلن":(النطق بالحقيقة، تلك الحقيقة الشاعر بها القلب).

ويذهب"عمار بن زايد" إلى أن الشعر الصادق قريب جدا من الوحي لأنه شعور وإحساس.

أكد "رمضان حمود" في ممارسته النصية والنظرية على أن الخصيصات الجوهرية في الشعر بدءا من أثر الأحاسيس وفعل الخيال وليس باختبار اللغة الخاصة بالشاعر ذاته إذ يقول : " الشعر مسطّر بريشة الشعور على صحائف لغات الأمم الخاصة بها سواء كانت متمدنة أو متوحشة، ولا يختص بالأولى وحدها بل ربما انتشر بين أفراد الثانية أكثر منه في تلك... " .[2]

وبهذه المزايا الثلاث التي لا يتوفر عليها إلا شاعر متمكن، يعتبر "رمضان حمود" المقلدين كما سماهم. لا يطرب لهم سامع ولا يحرك لهم ساكن.

فالشّعر عند "حمود" (هو تيار كهربائي مركزه الروح، وخيال لطيف تقذفه النفس لا دخل للوزن والقافية في ماهيته، وغاية أمرهما أنهما محسنات لفظية إقتضاها الذوق والجمال في التركيب لا في المعنى، كالماء لا يزيده الإناء الجميل عذوبة وملوحة، وإنما حفظا وصيانة من التلاشي والسيلان).[3]

وفي مكان آخر يؤكد الشاعر والناقد "رمضان حمود" على ضرورة توفر الموهبة الشعرية عند الشاعر فيرى : (بأن الشعر ليس صناعة ولا بضاعة، وإنما الهام وجداني ووحي الضمير وموهبة مخفية في ذات الشاعر، تولد مع ميلاده وتظل كامنة فيه، فهي في اختفائها كاختفاء النار في الحجر إلى حين بروزها) .[4]

ويصل به الحماس إلى حد اعتبار الشعر الذي لا يخدم المجتمع خيانة كبرى، فيقول (إنّ الشعر الذي يحرك نفوس العامة، ولا يذكرها بواجبها المقدس، ووطنها المفدّى، فهو خيانة كبرى وخنجر مسموم في قلب المجتمع). [5]

1- عمار بن زايد، "حركة النقد الأدبي الجزائري الحديث "، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، د ط ، 1990 ص 83.

2- يوسف ناوري، " الشعر الحديث في المغرب العربي "، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، ط 1 ، ج 1 2006 ، ص 230.

3- عمار بن زايد، "حركة النقد الأدبي الجزائري الحديث"، ص 85.

4- المرجع نفسه ص85

5- شريبط أحمد شريبط، "مباحث في الأدب الجزائري المعاصر" ، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين الجزائر ط 1، 2001، ص 234

ومن خلال التعاريف التي أوردها "رمضان حمود" حول ماهية الشعر والشعراء في مقالة (الشعر والشاعر) نرى بأنها تعاريف يسيطر عليها المعجمان الطبيعي والنفسي أي روحانية النفس، وحب الطبيعة ومنها قوله :

(الشعر وحي الضمير والهام الوجدان).

(الشعر مرآة ينعكس عليها أشعة الحب والجمال).

(الشعر هو قلب الطبيعة النابض) .

(الشعر نفس وهدية، تقدمها الطبيعة الهادئة إلى القلوب الكسيرة). [1]

كما نجد أن (رمضان حمود) رفع من شأن الشعراء ومكانتهم في تطوير مجتمعاتهم بقوله :

(الشعراء بذور الحياة، ومؤسسوا النهضات) .

(لو لم تكن للشاعر مزيّة لا إنسانية لكفته فخرا) .

(الشاعر لا ينتصر لحزب دون حزب آخر، لكن يجب أن يكون أداة إصلاح...) .

(الشعراء روح الشعوب، فإن نصحوا لها سارت وتقدمت، وإذا خانوها فالسقوط والإضمحلال حظها). [2]

ومن هذا كله نلاحظ أن "رمضان حمود" يختلف مع المفهوم العلمي في النقد العربي القديم فهو يرى أنّ : " الشاعر لا يسمى شاعر، إلا إذا خاطب الناس باللغة التي يفهمونها، بحيث ينزل على قلوبهم نزول ندى الصباح على الزهرة الباسمة، لا أن يكلمون في القرن العشرين بلغة امرئ القيس، وطرفة والمهلهل والجاهلين الغابرين" .[3]

حيث أن أساس الشعر عند "رمضان حمود" ليس الوزن والقافية، وإنّما هو يولي أهمية بالغة للمعنى والأسلوب، ومنبعه تلك الملكة الخفية في ذات الشاعر ألا وهي "الموهبة" والتي مردها الفطرة لا التصنّع والتكلّف.

أما الشاعر فواجبه الحتمي هو اصلاح وخدمة المجتمع، وإذا تقاعس عن أدائه فهو خائن حسب رأي "رمضان حمود".

شاعريته:

1- شريبط أحمد شريبط، "مباحث في الأدب الجزائري المعاصر"، ص 234.

2- المرجع نفسه، ص 234.

3- المرجع نفسه، ص 236.

إنّ الموت الذي احتضر "رمضان حمود" وهو في الثالث والعشرين من عمره جعل إنتاجه الشعري محدودا، إذ أنّ حصيلة ما نشره من شعره بين سنتي (1925– 1929) لم يتجاوز ثلاثين مقطوعة، إذ رغم ضآلة هذا الإنتاج الشعري عددا إلا أنه سنحاول أن نتفحص شعر "حمود" من جانبيه الفكري والفني، فالملفت للنظر حقا في شعره هو مضامينه الفكرية لا أدواته الفنية... ويتبين هذا من خلال كل جملة شعرية انفجرت بها روحه الشابة، الثائرة رغم أنه في مقتبل العمر.

الجانب الفكري :

يبدو أن المضامين التي استقطبت شعر "رمضان حمود" لم تختلف عن تلك المفاهيم التي عرفت لدى رجال الإصلاح آنذاك، إلا أن هذا التشابه في المضامين لا يؤدي بالضرورة إلى التشابه في المواقف فما يميز "حمود" هو مواقفه الثائرة التي كان يعبر عنها من خلال رصيده الشعري على الرغم من سنه وما لاقاه من عناء وبلاء.

ومنذ القراءة الأولى لشعره، يتجلى حمود وقد امتزجت بدمه الفكرة الإصلاحية وذلك بإصلاح أمته وشعبه، فأعطاها كل ما يملك من قواه رغم ما عاناه مرارا وألم يثنه مستعمر حاول إذايته، بل ولا معاناة من عذاب علة دائمة نهشت رئته نهشا أليما) .[1]

حيث توطدت علاقته وزعماء الحركات الوطنية، فالإصلاح كان في مفهوم أولئك الرجال يعبر عن مدى تمسك المسلمين الجزائرين بشخصيتهم العربية الإسلامية، وقد عبّر "حمود" في أبيات قليلة بسيطة عن إيمانه العميق برسالته تلك وحدد أبعادها بشكل واضح وصريح.

فِي سَبِيلِ اللهِ والحَقِّ نِدَائِي وفِعَالِي
فِي سَبِيلِ الدِينِ وَالشَّعبِ هِيَامِي وَغَرَامِي
فِي سَبِيلِ الشَّرقِ والإسْلاَمِ حُبِي وَاشْتِغَالِي
فِي سَبِيلِ العِزِّ مَا لاَقَيْتُ والمَجْدَ المَضَامِ .[2]

فهي بذلك رسالة سامية حيث تكون أهدافه من خلالها في هذا السمو وتلك العظمة، إذ هي إيمان مطلق بالله الذي هو غاية كل مؤمن صادق واعتزاز بالحق الذي يحاول الإستعمار هضمه وابتلاعه، ودعوة جهيرة إلى الدين الإسلامي وكفاح مستمر في سبيل ذلك الشّعب المتعطش إلى التوجيه والتوعية.

وهكذا فإن المحاور التي كانت تدور حولها مضامين شعره لم تمس سوى مواضيع الشّعب الجزائري والأمة الإسلامية وذلك من خلال وصف الواقع المرير الذي كان يتخبط فيه الشّعب من جهل وفقر لذلك جاءت دعوته مترعة بإحساس التمزّق وانتظار الوعي تجاه العالم والمعيش.[1]

1– محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره " ، ص 27.

2– محمد ناصر، " رمضان حمود الشاعر الثائر " ، ص 25.

ومن شعره الذي يصف فيه حالة الشّعب الجزائري التعيسة نأخذ على سبيل المثال هذه المقطوعة من قصيدة طويلة عنوانها "دمعة على الأمة" إذ يبدو فيها "حمود" محزونا يتقطع ألما مشفقا عليهم والدليل على ذلك الحزن والقهر وهذا الإشفاق في ترديده لكلمة (بكيت) أكثر من مرة وهذا مقتطفا منها:

بَكَيْتُ وَمِثْلِي لاَ يَحِّقُ لَهُ البُكَا عَلَـى أُمَّـةٍ مَخْلُوقَةٍ لِلنوازل
بَكَيْتُ عَلَيْهَا رَحْمَةً وَصَبَابَـةً وَإِنِّي عَلَى ذَاكَ البُكَا غَيْـرُ نَادِمِ
ذَرَفْتُ عَلَيْهَا أَدْمُعًا مِنْ نَوَاظِرِ تُسَاهِرُ طُولَ اللَّيْلِ ضَوْءَ الكَوَاكِبِ [2]

ويبدو الشّعب الجزائري من خلال شعر "حمود" أكثر كآبة وحزنا وتعاسة وقد تجمعت عليه كل المحن والهموم مما زاد على قهر "رمضان حمود" وهو أمر يملأ القلب كمدا وحزنا حقا.

مَالِشَّعْبِي الكَئِيبِ بَـاتَ حَزِينًا يُرْسِلُ الدَّمْعَ تَارَةً وَالأَنِينَا
بَاتَ يَشْكُو الهَوَانَ وَاللَّيْلَ رَاجَ مِثْلَ حَظِّ الشَّقِي وَالبَائِسِينَا
بَاتَ يُحْصِي النُجُومَ وَالدَمْعَ يَنْسَابُ عَلَى الوَجْنَتَيْنِ دَمْعًا هُتُونَا. [3]

والمتّأمل لشعره"حمود" يلاحظ عليه هذه المسحة التشاؤمية القاتمة استنادا إلى ما تركه من آثار شعرية، فآلامه الشخصية تمتزج بآلام مجتمعه ودموعه إنما يذرفها لواقع مرير يعيشه شعبه وأمته وقد عبر عن ذلك بعبارات مؤثرة حيث يقول: " إنّي لتعروني هزة، وينفطر قلبي، وتنشق كبدي، وأغيب عن رشدي، وأحس بألم شديد يدّب بين جوانحي دبيب الموت في الحياة كلما خلوت إلى نفسي ونظرت إلى حالتنا الحاضرة وتفكرت فيما سنصير إليه أن نحن دمنا على هاته السيرة البطيئة المخجلة ".[4]

ولعل السياق السياسي الذي خلق للحركة الإصلاحية في الجزائر في مجتمع يعاني من مظاهر التخلف والجمود الفكري بين الناس كان له الأثر الحاسم في توجيه الشعر إلى ما التمسه الشعراء جوابا على القضايا الثقافية والمجتمعية التي كان عليهم مواجهتها.[5]

فإذا كان موقف "رمضان حمود " ضد الجمود الفكري حاد لا يلين فإن موقفه من الإنحلال جاء هو الآخر في مثل حدّة ذلك الموقف وإصراره وذلك لأنه ليس العلم وحده هو الذي يبني الجزائر الناهضة، وإنما الذي يمدهم بالقوة هو تمسكهم بمقوماتهم عروبة ودينا حيث يقول "حمود" في هذا المجال : " غايتنا الوحيدة التي ترمي إليها نهضتنا العلمية الإصلاحية هي إحياء ما اندرس

1- يوسف ناوري، " الشعر الحديث في المغرب العربي"، ص 229.
2- محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره" ، ص 30.
3- محمد ناصر، " رمضان حمود الشاعر الثائر " ، ص 26.
4- محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره" ، ص 31 .
5- يوسف ناوري ، " الشعر الحديث في المغرب العربي "، ص 228.

من مجد أبائنا والإقتداء بعظمائنا، وتلقين العالم بأننا أمة إسلامية متمسكة بدينها وعوائدها،وقوميتها، ووطنها تمسكا متينا لا تبغي به بديلا ".[1]

بالإضافة إلى ذلك تتجلى دعوة حارة من " رمضان " إلى الإقبال على العلم والأخذ بأسباب الحياة المعاصرة لأنه في بداية أيّة نهضة يكون العلم بمعناه الواسع سلاحا أساسيا يملأ قلوب الناهضين بالإيمان الراسخ والوعي وتلك صيحة "حمود" التى طالما رددها دون ملل أو يأس

أَصِيحُ فِيهِمْ بِصَوْتِ عَنْزٍ قَائِلاً أَلاَ حَيَاةُ بِهَا فِي النَاسِ نَرْتَفِعْ
فَمَزِّقُوا الجَهْلَ وَأُنْجُوا مِنْ مَخَالِبِهِ فَالجَهْلُ بِالعِلمِ وَالتَفْكِيرِ يَنْقَطِعْ
وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ وَلُّوا وُجُوهَكُمْ وَجُهْدَكُمْ شَطْرَ شَمْسِ العِلْمِ وانْدَفِعُوا [2]

و"حمود" عندما يلّح على الدعوة إلى العلم في إصرار إنّما يفعل ذلك عن إدراك و وعي لواقع مرير تمثّل في الجهل والإفتراق والإنحلال كما يقول:

جُمُودٌ وَجَهْلٌ وَافْتِرَاقٌ تَجَمَّعَتْ عَلَيْنَا فَلَمْ نَحْفَلْ بِرَفْعِ الدَعَائِمِ
وَمَا المَرْءُ إلاَّ بِالعُلُومِ مُعَظَّمٌ وَلاَ نَالَ بِالإِهْمَالِ أَعْلَى المَنَازِلُ [3]

بالإضافة إلى ذلك تذمره من الدهر ومعاناته منه وذلك بقوله "

وَيْلاَهُ مِنْ هَمٍّ يُذِيبُ جَوَانِحِي فَكَأَنَّمَا فِي القَلْبِ جُذْوَةُ نَارٍ
نَفْسِي مُعَذَّبَةٌ بِهِمَّةِ شَاعِرِ دَمْعِي عَلى رَغْمِ التَّجَلُدِ جَارِ
حَظِّي عَلَى مَتْنِ النَوائِبِ رَاكِبِ تَمْشِي به لِمَحَطَةِ الأَكْدَارِ
قَدْ خَانَنِي دَهْرِي وَتِلْكَ سَجِيَّةِ لِلدَّهْرِ مِثْلَ سَجِيَةِ الأَشْرَارِ [4]

والحق أن الدعوة إلى إتحاد الكلمة والقضاء على مظاهر الخذلان والتفرق، كانت على لسان كل مصلح، وقد غدت هذه الدعوة ركيزة أساسية من ركائز النهوض، ويرى أن هذا الإتحاد يجب أن يكون من البيئة الضيقة داخل الأسرة إلى الوطن العريض في كيان الأمة وهذه هي أول خطوة للسيادة الوطنية.

ويصرح " رمضان حمود " بفكرته تلك علانية حيث يعبر عنها بكلمة الإستقلال في قوله:

خَبِرُونِي بِبِلاَدِ سَعِدَتْ وَاسْتَقَلتْ بِاخْتِلاَفٍ وَنِفَاقٍ
خَبِرُونِي بِبِلاَدٍ شَقِّيَتْ بِإِتِّحَادِ وَائْتِلاَفٍ وَوِفَاقٍ
أَنَا وَاللهِ ضَنِينٌ بِالبِلاَدِ وَكَرِيمُ بِنَفِيسِ وَحَقِيرِ [1]

1- محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره" ، ص 35.

2- المرجع نفسه، ص 35.

3- محمد ناصر، " رمضان حمود الشاعر الثائر " ، ص 30.

4- محمد الطمار " تاريخ الأدب الجزائري" ، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون (الجزائر) د ط، 2006 ص 388.

يمكن أن نقول بأن "رمضان حمود" كان يعاني معاناة شديدة في سبيل وطنه وتحقيق أهدافه الوطنية، وكان الشّعب الجزائري الذي أدمته الحرب العالمية الأولى وكشفت له حقيقة وعود فرنسا الكاذبة أشبه ما يكون بالسجين الذي لا ينعم أبدا بطعم الحرية إلا بعد جهد جهيد، ومن ثم نلمس في شعر "حمود" الألفاظ المشحونة بالصراع والمقاومة، ويكون تكرارها دليلا آخر على العزم والإصرار كقوله :

دَعُونِي أُنَاضِل عَلَى أُمَة تَوَاتَرَتْ حُقُوقَ لَهَا بِالحِجَابِ
دَعُونِي أُنَاضِلُ عَلَى أُمَةِ فَضَائِلُهَا بَيْنَ ظِفْرٍ وَنَـابِ
دَعُونِي أُنَاضِلُ عَلَى أُمَةِ عَلَيْهَا تَوَالَتْ شُرُورَ الذِّئَابِ.[2]

فنلاحظ ذلك من خلال تكراره لجملة "دعوني أناضل على أمة" خاصة وأن الذين يصرحون بالثورة المناهضة للإستعمار قلة تعد على الأصابع، وهكذا كان يسعى إلى تحقيق طموحه الوطنية غير مبال بما يلقاه من محن وبلايا هذا السبيل.

الجانب الفني

نستطيع القول أن "رمضان حمود" هو الذي فتح باب التجديد في الشعر الجزائري الحديث باعتباره أنه كان من الشعراء الشباب الإصلاحين فشدّ انتباهه هو الآخر الشعراء الذين كانوا يستقطبون الأنظار في الوطن العربي أمثال **أحمد شوقي ، حافظ ابراهيم ، الرصافي...** إلاّ أنّه لم يتقيد بهذه النظرة التقليدية الآسرة رغم انتمائه إلى هذه الحركة حيث حدد للشعر مفاهيم متطورة معايشة للمجتمع، اعتمد في ذلك التصور الأوروبي لمفهوم الشعر كأنموذج نظري لتحرير القصيدة من تحديدها بالقافية والوزن ومن الخضوع لمعايير انتظام عناصرهما.[3]

مظاهر التقليد والتجديد:

أ- مظاهـر التقليد:

1- المعارضـة:

إنّ المعارضة بقدر ما تنبئ عن مدى الإعجاب الشديد بالشعر المعارض بقدر ما تنبئ عن مدى تأثره بالشاعر المعارض، فهي تشير أيضا إلى مدى التكلف الذي يصبح فيه الشاعر – فالمعارضة– سمة تعبر عن تقليد الشاعر لغيره وذلك تأثرا به و بكتاباته وذلك حتى يثبت تفوقه عليه أو مساواته له.

1- محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره" ، ص 39.

2- المرجع نفسه، ص 43.

3- يوسف ناوري، " الشعر الحديث في المغرب العربي"، ص 229 .

فحمود هو الآخر لم يستطع التخلص من بعض القصائد العربية الشهيرة خاصة وأنه كان متأثرا بالشعراء أمثال شوقي وغيره حيث يقول رمضان حمود " لا يمثل هذا الإتجاه في شيء فهو لم يحمل جديد إلى الشعر العربي وظل خاضعا لهيمنة المثال القديم، كما أنه لم يأت بشيء جديد لم يعرف من قبل أو من طريقة ابتكرها من عنده..." [1]

ومن القصائد التي يبدو اعجابا بها "لامية الطغرائي" فقد عارضها بقصيدة أخرى متبعا فيها نفس خطوات الطغرائي في لاميته بقوله :

أُعَانِقُ الحَقَ فِي قَوْلٍ وَفِي عَمَلٍ وَأُنْهِضُ القَوْمَ أَنْ مَالُوا إِلَى الكَسَلِ
فَلاَ أُدَاهِنُ قَوْمِي أَنْ هُمْ اِقْتَرَفُوا ذَنْبًا يُلاَبِسُ وَجْهَ الحَقِ بِالخَجَلِ
وَلاَ أَعِيشُ بَأَرْضِ الذُّلِ مُكْتَئِبَا فَالذُّلُ مِنْ شِيمَةِ الأَنْذَالِ والسَفَلِ
وَأَبْذُلُ النَفْسَ فِي سَبِيلِ الحَيَاةِ فِدَى وَلاَ أُعَوِلُ فِي الدُنْيَا علَى رَجُلِ [2]

حيث تظهر المعارضة في تكراره لنفس شطر بيت الطغرائي،إلا أن حمودا الذي دفعه إلى ذلك اعجابه به وتأثره وكان كل هذا لطموحه وما كانت عليه نفسه من قلق واغتراب

2- التضمين والاقتباس:

هذا دليل آخر على إعجاب الشاعر وتأثره بالمصدر الذي يقتبس منه،حيث كان ينبئنا عن ثقافة الشاعر الذي اقتبس منه، كهذه الآثار التي نجدها عند "حمود" والتي يسوقها من المصادر المعروفة للغة العربية والقرآن الكريم والشعر والحكم والأمثال حيث كان حمود من الشباب الإصلاحيين الذين تمسكوا بهذا التراث العربي الأصيل فكان اقتباسه من القرآن الكريم على النحو التالي:

وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ وَلُّوا وُجُوهَكُمْ وَجُهْدَكُمْ شَطْرَ شَمْسِ العِلْمِ وَانْدَفِعَوا [3]

هنا اقتباس واضح من الآية الكريمة الواردة في قوله تعالى: «**وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**» سورة البقرة -**144**-

ومثل قوله وهو يضمن معنى الآية الكريمة « **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا**»

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الكَوْنِ رَبٌّ وَاحِدٌ لَتَشَاجَرَا وَتَقَاتَلَ الخَصْمَانِ [4]

أما الاقتباس عن الشعر فهو كثير بقدر إعجابه بالشعراء كما ورد في قوله:

فَسِرْ وَدَعْ قَوْلَ مَنْ خَسَتْ مَقَاصِدُهُ فِي طَلْعَةِ الشَمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

فهو اقتباس واضح من لامية العجم الطغرائي في قوله مفتخرا بنفسه :

1- يوسف ناوري ، " الشعر الحديث في المغرب العربي "، ص 231.

2- محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره" ، ص 47.

3- المرجع نفسه، ص 50 .

4- محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره" ، ص 51.

وَأَبْذُلُ النَّفْسَ فِي سَبِيلِ الحَيَاةِ فِدَى وَلاَ أُعَوِلُ فِي الدُنْيَا عَلَى رَجُلِ [1]

بالإضافة إلى ذلك نجد تضمين أبياته أمثال عربية شهيرة كقوله مثلا:

هُنَالِكَ لاَ تُجْدِي نَدَامَـةَ نَادِمٍ عَلى الرَاقِعِ الكَسْلاَنِ يَتَسِـعُ الثَقْبَ

إنه تضمين للمثل القائل : " اتسع الخرق على الراقع " وقوله :

مِنْهَاجُهُ آيَةً للنَاسِ سَاطِعَـةً وَهُوَ أَشْهَرُ مِنْ نَارٍ عَلَـى قَلَلِ [2]

وهو تضمين للمثل الذي يضرب للشيء إذا اشتهر " أشهر من نار على علم "

3- النزعة الخطابيـة:

يبدو أن النزعة الخطابية، والطريقة التقريرية المباشرة هي من أبرز سمات شعر عهد الإصلاح، ولعل هذا يعود إلى أن أغلب الشعراء كانوا أصحاب رسالة يتوجهون بها إلى الجماهير الشّعبية، فالشعر كان يتخذ أداة للنهوض ووسيلة من وسائل الدعوة إلى الإصلاح.

وبما أن "حمودا" كان من رواد الإصلاح جاءت أغلب قصائده من هذا النوع الخطابي المباشر، وآية ذلك أن الجملة الشعرية عنده جلها في صيغة الإستفهام أو الأمر أو النهي وكلها قوالب وصيغ خطابية.

ومن أبرز عناصر النزعة الخطابية، عنده التكرار اللافت للنظر في الألفاظ والجمل غير أن هذا التكرار أضفى على جو القصيدة نوعا من الرتابة المملة وقد افتقدت روح الشعر افتقادا كليا رغم توكيد المعنى من أجل إيصاله إلى متلقي شعره،ففي قصيدة "دمعة على الأمة"، نجد الشاعر يعيد لفظة "بكيت" ثلاث عشرة مرة عند مطلع كل بيت.

وللنزعة الخطابية المباشرة نسوق هذه المقطوعة مثالا "

إلاَّ يَا رجال الشَّعْبِ! وَيْحَكُمْ هُبُّوا ! فَقَدْ عَمَّتْ البَلْوَى كَمَا اسْتَفْحَلَ الخَطْبُ

فَشَيِّدُوا عَلَى هَامِ النُجُومِ بُيُوتَكُمْ وَكُونُوا إِلَى الخَيْرَاتِ هِمَتَكُمْ تَصْبُو

أَفِيقُوا فَلاَ عَيْشَ يَطِيبُ لِـرَاقِدِ وَصُونُوا لَنَا مَجْدًا لِيَفْتَخِرَ الشَّعْبُ [3]

4-الأسلوب الحكمي :

لقد عر ف الأسلوب الحكمي شعر المتنبي، وأبي العلاء المعري والطغرائي كما عرفه المحدثين أمثال شوقي وحافظ ، وهو عند "حمود" قد يجيء في شكل بيت كامل أو عدة أبيات

1- المرجع نفسه، ص 51.

2- المرجع نفسه، ص 27.

3- محمد ناصر، " رمضان حمود الشاعر الثائر " ، ص 40.

متتابعة وقد يجيء شطرا واحدا صدرا أو عجزا مما يطبع أحيانا شعره بمسحة من الوعظ والإرشاد ومن ذلك مثلا هذه المقطوعة :

فَوَاجِعُ الدَهْرِ أَشْكَـالٌ وَأَلْوانُ وَالمَرْءُ عِنْدَ حُلُولِ الخَطْبِ وَلْهَانُ
هِـيَ الحَـوَادِثُ لاَ تَنْفَكُ تَطْلُبُهُ وَفِـي الحَيَاةِ لَهُ حُبٌّ وَطُغْيَانُ
يَسْعَى الفَتَى وَسُرُورَ العَيْشِ يَخْدَعُهُ فِـي كُلِ آَونَةٍ يَغْوِيهِ شَيْطَانُ [1]

يحيل إليك وأنت تسمع أقواله بأنك أمام شيخ حنكته التجربة ليس فقط في مواطن الخشوع بل وحتى في مواطن الإستفزاز والتحريض ومن ذلك هذه الأبيات التي راح يحرض بها الجزائريين ويدعوهم إلى النهوض والحركة.

لاَ تَقْتَؤُا طَالِبِينَ المَجْدَ أَنْصَحُكُمْ فَالمَرْءُ قَهْـراً عَلَى مَا هُمْ يَنْطَبِعْ
أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَامُوا فَتَهْلَكُوا وَمَـنْ يَغْتَرِرْ يَوْمًا فَلاَ بُدَ أَنْ يَكْبُو
وَلَيْسَ قَبِيحًا أَنْ يُقَالَ كُبْوَتَهُمْ وَلَكِنَ ضُعْفَ النَفْسِ جُبْنًا هُوَ العَيْبُ
وَمَنْ لمْ يَذُقْ طَعْمَ الرَدَّى بِنِضَالِهِ سَيَشْكُو الأَذَى وَالدَمْعَ مِنْ عَيْنِهِ يَجْرِي
شَرُ البِلاَدِ بِلاَدٌ خَافَ سَاكِنُهَا مِـنْ جَمْرَةِ الجُورِ أَوْ مِنْ فِتْكَةِ السَفَلِ [2]

5- الخيال والصورة:

على الرغم من أن حمودا يقول على نفسه بأنه يحب الخيال ويتيه به وأنه يسعى ليتوصل به إلى الحقيقة المجسمة، إلا أنه وجوده في شعره شيء ضئيل وذلك لإفتقاره إلى الصور الإيحائية والخيال المجنح.

غير أن الشيء الملاحظ عند حمود هو أنه في وصفه أقرب إلى الكلاسيكية منه إلى الرومانسية فالمعروف عن الرومانسين أنهم يفرغون ذواتهم ويسقطونها على الشيء الموصوف ويمتزجون عاطفيا بالصورة التي يختارونها عكس الكلاسيكيون فهم يكتفون بتصويره تصويرا يكاد يكون فوتوغرافيا وهذا ما يجعل صورتهم باردة تعوزها الحرارة والحيوية.

نسوق هذه المقطوعة التي يصف فيها حمود منظر الطبيعة عند الغروب بقوله:

أُنْظُرْ إِلَى الكَوْنِ البَدِيعِ بِنُورِهِ وَظَلاَمِهِ وَسُكُونِهِ الرُوحَانِي
وَنَسِيمِهِ وَهُبُوبِهِ وَمِيَـاهِهِ وَخرِيـرُهَا وَجَمَالِهِ الفَتَّانِ [3]

فهذه الصورة بلا شك تفتقر إلى الحركة بقدر افتقارها إلى عاطفة الشاعر، مقارنة بقصيدة خليل مطران – المساء – وهو وصف رومانسي حيث يقول:

1- محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره" ، ص 54.

2- المرجع نفسه، ص 55.

3- محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره" ، ص 56.

... وَالشَمْسُ فِي شَفَقٍ يَسِيلُ نَضَارَهَ فَوْقَ العَقِيقِ عَلى ذُرَى سَوْدَاءِ
مَرَتْ خِـلاَلَ غَمَامَتَيْنِ تَحَدرَا وَتَقَطَرتْ كَالدَّمْعَةِ الحَمْرَاءِ
فَكَأَنَّ آخِـرُ دَمْعَةً لِلْكَوْنِ قَدْ مُزِجَتْ بِآخِرِ دَمْعَةً لِرِثَائِي
وَكَأَنَّنِـي آنَسْتُ يَوْمِي زَائِلاً فَرَأَيْتُ فِي المِرْآَةِ كَيْفَ مَسَائِي [1]

ب- مظاهر التجديد:

انتهينا أثناء حديثنا عن مفهوم "حمود" للشعر إلى أنه كان مجددا في نظرياته تلك وتجديده يتجلى في ثورته على المفهوم الكلاسيكي للشعر وفي موقفه الواضح من أحمد شوقي حيث يقول عنه : " إنه لم يأت بشيء جديد لم يعرف من قبل، أو من طريقة ابتكرها من عنده وخاصة به دون غيره، أو إخترع أسلوبا يلائم العصر الحاضر " [2]

وإن كان كلامنا عن علاقة "رمضان حمود " بالمذهب الرومانسي، فإعجابه و تأثره به واضح كل الوضوح حيث يتجلى ذلك في اعتناقه لنظريات الرومانسيين حول الشعر وتشربه لآدابهم،ولا سيما بعض الشعراء الفرنسيين أمثال "فيكتور هيجو" "لامرتين"... وقراءاته الكثيرة لبعض الأدباء العرب أمثال "جبران خليل جبران "

يعود إعجاب "رمضان حمود" بهذا المذهب إلى عوامل متعددة تمثلت في ثورته على المذهب الكلاسيكي وهذا طبيعيا لأن الرومانسية تقوم على الخيال المبتكر وتعتمد على العاطفة عكس الكلاسيكية التي تقوم على العقل وتعتمد على الملاحظة المباشرة، وبالإضافة إلى ذلك واقع المجتمع الجزائري آنذاك هو الذي طبع شعره بالشكوى المستمرة ولونه بمسحة من الحزن القاتمة، ولعل العامل الرئيسي يعود إلى نفسية "حمود" التي كانت مرهفة حساسة تتعاطف مع المنكوبين، تحب الإنزواء والعزلة، تعشق الطبيعة و تعتبرها أُمًا ثانية وتنفر من الاضطهاد.

هذه العوامل المجتمعة هي التي ربطت "حمود" بالأدب الرومانسي وجعلته يدعو إلى التجديد في الشعر، وقد مس هذا التجديد القوالب الفنية الآتية:

1/ وحدة الموضوع:

إن ما نقصده هنا من وحدة الموضوع هو هذه الوحدة المتجانسة التي تربط بين أبيات القصيدة، بحيث يكون عنوان القصيدة دالا عليها متناسقا مع موضوعها، وهو أمر لم تكن تعرفه القصيدة التقليدية لأنها كانت تبتدأ بغزل ثم تنتقل إلى المدح وتنتهي بالشكوى والاستعطاف وبالتالي تقوم على وحدة البيت وهذا ما يسهل ترتيب الأبيات ونقلها عكس القصيدة التي تتميز بالوحدة الموضوعية فلا يسمح بتغيير ترتيبها أو نقلها وذلك قد يؤدي إلى اختلال معناها .

1- المرجع نفسه، ص 56.

2- يوسف ناوري، " الشعر الحديث في المغرب العربي "، ص 231.

وعلى الرغم من أن "رمضان حمود" في قصيدته (الحرية) قد نمت نموا عضويا رائعا تكاد تتوفر فيهما الوحدة العضوية إذ تسلمك البداية إلى النهاية في تتابع وتسلسل وانسجام لا نفرة بين أبياتها، إلا أنه في بعض قصائده مثلا (يا قلبي) افتقدت إلى هذا العنصر الفني كما هو الشأن في القصيدة التقليدية وكدليل على ذلك نستدرج بعض الأبيات من قصيدة الحرية بقوله :

لاَ تَلُمْنِي فِي حُبِهَا وَهَوَاهَا لَسْتُ أَخْتَارُ مَا حَيْيتُ سِوَاهَا

هِي عَيْنِي وَمُهْجَتِي وَضَمِيرِي أَنَّ رُوحِي وَمَا لَدَيْهَا فِدَاهَا

إِنَّ عُمْرِي ضَحِيـَةٌ لأَرَاهَا كَوْكَبًا سَاطِعًا بِبُرْجِ عِلاَهَا [1]

فالأبيات تصب في قالب واحد وغرض واحد وهو التعلق الشديد بالحرية إلى درجة العشق فهو تغزل كتغزل محب لحبيبته من أول بيت إلى آخره.

2/- الصياغة الشعرية:

على الرغم مما لاحظناه من طغيان النزعة الخطابية في شعر "حمود" فقد حاول أن ينفلت من أسر الخطابة وأن يتحرر إلى الطريقة الإيحائية.

وثمة قصيدته "الحرية" التي تلفت الإنتباه بصياغتها إذ خيل إليه أنه يناجي فتاة ذات كبرياء ليعبر بذلك الإحساس الذي يجده كل جزائري متلهف إلى نسمة من نسمات الحرية بقوله :

إِنَّ ذَاكَ الكَئِيبُ مَازَالَ خِلاً يَحْفِظُ الودَّ والعُهُودِ قَضَاهَا

أَتَمَنَى بِأَنْ أَرَاهَا فَمَا أَحْلَى وَمَا لاَ يَكُونُ فِيهِ رِضَاهَا [2]

كما نلاحظ أن القصيدة تعتمد على اللغة السهلة البسيطة المبتعدة عن التكلف تدل على أنه اهتم بعواطفه وأحاسيسه، واعتماد السهولة والوضوح يعتبر منهجا في تقديم رسائلهم الإصلاحية حتى يفهمها العام والخاص كالود والعهود...

3/- البنية الشعرية:

يجب أن نوضح بأن "رمضان حمود" كان يحاول أن يتخلص من أسس الرتابة الموسيقية في كثير من قصائده، ولا سيما في القافية فهو دائم التنويع في قوافيه كأن يعاقب في المقطع الواحد بين قوافي متعددة لإحداث نوع من التجديد الموسيقي إذ ينتهي في البيت الأول مثلا بحرف النون،والبيت الثاني والثالث بحرف الراء، والبيت الرابع والخامس بحرف التاء ، والبيت السادس والسابع بحرف الهاء على هذا النحو:

أَنْتَ يَا قَلْبِي فَرِيدٌ فِي الأَلَمِ والأَحْزَانِ

وَنَصِيبُكَ فِي الدُنْيَا الخَيْبَة والحِرْمَانِ

1- محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره" ، ص 239.

2- المرجع نفسه، ص 239.

أَنْتَ يَا قَلْبِي تَشْكُو هُمُومًا كِبَاراً وَغَيْرُ كِبَارِ

أَنْتَ يَا قَلْبِي مَكْلُومٌ، وَدَمُكَ الطَاهِرُ يَعِيشُ بِه الدَهْرُ الجَبَّارُ

اِرْفَعْ صَوْتَكَ لِلسَمَاءِ مَرَةً بَعْدَ مَرَةٍ وَقُلْ اللَّهُمَ أَنَّ الحَيَاةَ مُرَةٌ

أَعِنِّي اللَّهُمَ عَلَى اِجْتِرَاعِـهَا

وأَمْدْدنِي بِقُوَةٍ فَإِنّي غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى اِحْتِمَالِهَا

اللَّهُمَ أَنَّهَا مُرَة ثَقِيلَة فَلَيْسَ فِيهَا طَرِيقًا [1]

فجاءت تجربته هذه متعددة القوافي، بل أنها تشمل على مقاطع لا يمكن أن تخضع لبحر معين من البحور الخليلية المعروفة. [2]

نستخلص من هذا الفصل أن "رمضان حمود" كان شاعرا وكاتبا تميز بروح وطنية غيورة، ونلتمس ذلك من خلال أعماله الأدبية خاصة الشعرية منها، إذ اتخذ الشعر كمتنفس لشخصيته الثائرة كغيره من الشعراء العظام التي حملتهم الجزائر على حبها والتضحية من أجلها

وهذا ما يقودنا في الفصل الثاني إلى معالجة موضوع "الوطنية في الشعر الجزائري" وماتحمله من أبعاد في جميع مستوياتها.

1- محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره" ، ص 246

2- عمر بن قينة، " في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما "، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون – الجزائر – ، ط 2، 2009، ص 77.

الفصل الثاني

الوطنية في الشعر الجزائري

1- مفهوم الوطن والوطنية.

2- عوامل تطور الوطنية في الشعر الجزائري .

3- أبعادها.

مفهوم الوطن والوطنية لغة واصطلاحا:

يعتبر مصطلحي الوطن والوطنية مفهومان متداخلان وللولوج إلى مفهوم الوطنية لابد أن نتطرق إلى مفهوم الوطن ونوضح معناه في اللغة والاصطلاح.

أ- لغـة:

ورد معنى الوطن "لغة" في معجم العين للفراهيدي " وطن = الوطن = موطن الإنسان ومحله.... وأوطان الأغنام مرابطها التي تأوي إليها، ويقال أوطن فلان أرض كذا ، أي إتخذها محلا ومسكنا يقيم بها، قال رؤية :

حتَى أَرَى أَهْلَ العِرَاقِ أَنَّنِي

أَوْطَنْتُ أَرْضًا لَمْ تَكُنْ مِنْ وَطَنِي [1]

كما جاء معنى الوطن في معجم تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، الوطن مُحَرَكَة وَيُسْكَنُ تخفيفا لضرورة الشعر كما قال رؤية:

أَوْطَنْتُ وَطَناً لَمْ يَكُنْ مِنْ وَطَنِي لَوْ لَمْ تَكُنْ عَامِلُهَا لَمْ أَسْكُنْ

وقال ابن بري الذي في شعر رؤية : " أَوْطَنْتُ أَرْضًا لَمْ يَكُنْ مِنْ وَطَنِي ".

ووَطَنَ بِهِ يَطِنُ وَطْنًا وَأَوْطَنَ = بمعنى أَقَامَ، وأَوْطَنَهُ إيطَانًا وَوَطَنَهُ تَوْطِينًا، وَاسْتَوطَنَهُ، إذا اتخذه وَطَنًا أي محلا ومسكنا يقيم به " [2]

كما ورد أيضا معنى الوطن في لسان العرب لإبن منظور : " إن الوطن هو المنزل الذي يقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله" وقد أدرجه رؤية في قوله :

أوْطَنْتُ وَطَنًا لَمْ يَكُنْ مِنْ وَطَنِي

لَوْ لَمْ تَكُنْ عَامِلُهَا لَمْ أَسْكُنْ

بِهَا وَلْم أَرْجُنْ بِهَا فِي الرَّجْنِ

وقال كذلك ابن بري في شعر رؤية :

بَيْنَمَا تَرَى أَهْلَ العِرَاقِ أَنَّنِي أَوْطَنْتُ أَرْضًا لَمْ تَكُنْ مِنْ وَطَنِي [3]

وهنا كلمة "أَوْطَنْتُ " بمعنى سكنت أرضا لم تكن من وطني.

1- الخليل ابن أحمد الفراهيدي، " كتاب العين "، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ملج 4، ط1 ، 2003 ص381.

2- الزبيدي الحنيفي، " تاج العروس من جواهر القاموس" ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ملج 12، ط1 ، 2005م ، ص 576.

3- ابن منظور الإفريقي المصري، " لسان العرب، دار صادر بيروت، ملج 15، د ط، ص 239.

وبالإضافة إلى ذلك جاء مصطلح "الوطن " في معجم "الأسيل" = جمع أوطان = مكان إقامة الإنسان، ولد فيه أو لم يولد، مَرْبَطَ المواشي. [1]

ب – اصطلاحا:

أما معنى الوطن اصطلاحا فهو " تلك البقعة من العالم التي تربط بها معنويات الشخص ويتعلق بحبها، أو هو تلك الأرض التي نشأ عليها، واختلط بأهلها وتعلم منهم طريقة الحياة فأصبح يشعر بأنه جزء لا يتجزء منها " [2]

فمن خلال هذه التعاريف التي ذكرناها سالفا فإننا نلاحظ أنّها تتضمن معنى واحد لمفهوم الوطن لغة واصطلاحا وهو : " مَوْطِنُ الإنْسَانِ وَمَحَلُّهُ " .

وكذلك " المنزل الذي يحل به المرء، وينزل فيه مع أهله وعشيرته، لأن تجمع العرب قديما في بقعة ما كان على أساس بشري قبلي لا جغرافي مكاني" [3]

الوطنية لغة واصطلاحا :

أ – لغة :

ورد معنى الوطنية لغة في معجم " الأسيل " بمعنى " الإخلاص والحب والتضحية من أجل الوطن " [4]

كما جاءت في معجم "رائد الطلاب" معنى " إخلاص الحب والتضحية للوطن" [5] فالوطني منسوب إلى الوطن، وهو من يحب وطنه ويخلص له الوّد والتضحية.

ب – اصطلاحا:

وفي الاصطلاح فهي : " شعور بحب الوطن يعبر عنه في الأدب أحيانا نثرا أو نظما و يتضمن ما تحتويه نفس الشاعر أو الكاتب من مقدار إخلاصه لوطنه كما ينطوي على حث القارئ على المشاركة في هذا الشعور" [6]

1– أحمد راقب قبيعة، " الأسيل القاموس العربي الوسيط" ، هيئة الأبحاث والترجمة دار الراتب الجامعية، بيروت، ط1، 1997 ص 787.

2– رابح تركي، " التعليم القومي والشخصية الجزائرية " ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2 ص 43.

3– محمد زغينة، " شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة د ط ، 2004 – 2005، ص 99.

4– أحمد راقب قبيعة، " الأسيل القاموس العربي الوسيط"، ص 787.

5– جبران مسعود ،"رائد الطلاب"، دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت لبنان ط5، أكتوبر 1998، ص 98.

6– وهبة مجدي، " معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب العربي"، مكتبة لبنان ساحة الرياض الصالح بيروت، ط2، 1984، ص 435.

والوطنية كما يقول محمد الطاهر فضلاء: " الوطنية عاطفة غريزية تغذيها الفطرة وتجليها الحكمة، وتشد أواصرها الخصائص الإنسانية الكاملة، والنشأة السليمة والفريدة الكاملة وتربية الأم كلاهما منشأ حنين يغلق النفس برداء الحب والوفاء، الشوق، ويتوج العواطف الأصيلة والدخيلة بأكاليل الإخلاص والتضحية والعطاء.[1]

وهذا معناه أن الوطنية الحقّة هي الوطنية المتشبعة بالفطرة والحكمة، لما تحمل من قيم إنسانية ومبادئ أصيلة، فهي تتطلب التضحية والمبادرة.

وفي تعريف آخر للوطنية يقول مصطفى بيطام : " الوطنية هي أهم النزعات الاجتماعية التي تربط الفرد البشري بالجماعات، وتجعله يحبها ويفتخر بها ويعمل من أجلها ويضحي في سبيلها ".[2]

أي أنّ الوطنية ترتبط بمجال حب الوطن دائما، والشعور بالارتباط الباطني الوجداني نحوه.

ومن الشعراء الذين تغنوا بالوطنية نجد على سبيل المثال محمد السعيد الزهراوي الجزائري، حيث يقول:

هِيَ الأُمُ وَاسَتْ فِي الصِّبَا كُلَ مَوْضِعِ
وَفِيهَا اِهْتَدَى السَاعُونَ دَرْبَ صَوَابِ
سَأُفْضِي لَهَا حَقُ الأُمُومَةِ إنَّهَا
بِلاَدِي التي فِيهَا مَحَطَ رِحَالِي
هِيَ الجَنَةُ الفَيْحَاءُ مِنْ قَبْلِ نَشْأَتِي
وإِنْ كُنْتُ خَطًا نَازِلاً بِبَابِ.[3]

ففي هذه الأبيات يشبه الشاعر الجزائر بالأم الحنون التي تحن على ابنها في صغره فتواسيه وتكون سندا له وتحميه من كل المخاطر حتى يكبر ويدافع هو بدوره عنها و يرد لها الجميل .

فالوطنية من خلال هذه التعاريف هي شعور بحب الوطن والإخلاص والتضحية من أجله، وبكل بساطة هذه التضحية واجبة علينا باعتبارنا أنّنا أبناء هذا الوطن وأننا ننتمي إلى رقعة واحدة وهي "الجزائر" وذلك دون أي مقابل أو اعتراف بالجميل.

1- جبران مسعود،"رائد الطلاب"، دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت لبنان ط5، أكتوبر 1998، ص100.

2- مصطفى بيطام، " الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954- 1962 " - دارسة موضوعية فنية - ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية بن عكنون - الجزائر-، د ط، 1998، ص 215.

3- شريبط أحمد شريبط، " دراسات ومقالات في الأدب الجزائري الحديث " ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية د ط، وحدة الرغاية - الجزائر ، د س ، ص 64.

عوامل تطور الوطنية في الشعر الجزائري :

لقد كان الشعب الجزائري أثناء الاحتلال الفرنسي، شاهدا حيا وصادقا على كل ممارسة عنيفة للأيدي الاستعمارية، إذ أنّ روح الصمود والتحدي لدى الشعب الجزائري هي ميزة أساسية وعلامة من العلامات البطولية التي عرف بها، فكان هناك من يترجم شهادة هذه الجماهير ويصوغها أدبا حيا، فارتبط هذا الأدب بحياة الجزائريين، وحاول أن يعالج مشاكلهم المريرة بطريقة موضوعية غير معقدة، فخاطب الشعراء الشعب بلغة خطابية مباشرة احتوت روحا وطنية ونزعة ثورية ساعدت في وجودها العوامل الآتية "

العوامل السياسية :

كانت نية فرنسا في الإستلاء على الجزائر هو إنكار ورفض التاريخ الإسلامي وتشويه صورته، والهدف من ذلك هو إحكام السيطرة وتوسيع نفوذها في أرض الجزائر وجعلها امتداد لها وجزء منها، ولتحقيق مرادها عمدت سياسة الدعاية وكسب ود العرب، بالتنويه لاحترام المقدسات وحرية اللغة والعقيدة : " وظلت هذه الدعاية مقرونة بالإغراء حينا والتهديد أحيانا أخرى تحذر الجزائريين وتضع على أعينهم ضبابا كثيفا يحجب عنهم آمالهم ومستقبلهم ".[1]

ولكن هذه الضبابية بدأت تزول بفضل الإنتباه للألم المشترك الذي كان يحزّ في نفوس المواطنين، وعلى إثر الاضطرابات التي كانت تقع في فرنسا ذاتها حيث الصراع كان على أشدّه

بالإضافة إلى مصدر آخر ساعد على انتباه الجزائريين تمثل في الحرب العنيفة بين تركيا وجيرانها الثائرين عليها، مما أدى إلى إثارة الوطنيين نحو أنفسهم ونحو عروبتهم ودينهم والأمر الذي ساعد على تقوية الروابط بين الأشقاء عرب ومسلمين .

عملت هذه الظروف على يقضة الجزائريين حيث بدأ بعض الوطنيين يعملون على تنظيم الجهود الوطنية، فظهرت بعض الكتل السياسية والأحزاب الوطنية لتدافع عن القضية الجزائرية وتخرجها من حدود الوطنية إلى القومية أو الإنسانية لكي لا يبق لفرنسا حجة للبقاء في هذا الوطن "فظهرت كتلة النوّاب التي كان يتزعمها الأمير خالد، وقد أشاد محمد العيد بمواقفه الوطنية في رثائه بعد أن توفي في دمشق منفيا". [2]

كما شهدت الساحة الوطنية ميلاد حركة جديدة في فرنسا باسم نجم شمال إفريقيا الذي كان ينادي بتحرير المغرب العربي كوحدة ثم حزب الشّعب وهو امتداد لنجم شمال إفريقيا، كذلك كانت حركة الإصلاح التي عرفت فيما بعد باسم جمعية العلماء تشق طريقها بنجاح كبير.

1- أبو القاسم سعد الله ، " شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة " ، المؤسسة الوطنية للكتاب ط 3، 1984 ص 71.

2- المرجع نفسه، ص 72.

"وإذ إلتفتنا إلى الحركة الإصلاحية فإنّنا نكاد نفتقد ملامحها الدينية في غمرة المضمون السياسي الذي غذّت به كل نشاط ديني فكري وأدبي " . [1]

وبعد الحرب العالمية الثانية ظهر حزب البيان الديمقراطي وكانت تسانده طبقة وطنية مثقفة، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الشّعب الجزائري قد شارك إلى جانب فرنسا في هذه الحرب أو أجبّر على المشاركة وذلك " أملا في أن يظهر بنصيب من الحرية والاستقلال". [2]

وقد كان لجميع هذه الهيئات والمنظمات صحافة تنطق باسمها وتدافع عن وجهة نظرها مما جعل الرأي العام يزداد يقضة وشعورا بالتضامن من أجل تحقيق الهدف الأكبر وهو الاستقلال، حيث تطرق رمضان حمود إلى الدور الهام والفعّال الذي تلعبه الصحافة الوطنية في تربية الشعوب ونجاعتها في النهضات القومية.

حيث يقول :

إنَّ الصَحَافَةَ نُورٌ لِلبِلاَدِ إذَا سَارَتْ مُوَفقَةً فِي أَحْسنِ السُبُلِ
هِي الفُؤادُ لِشَعبٍ قَدْ غَدَا سَكَنَا هي الحُسَامُ طَوِيلُ الحَوْلِ والحِيَلِ
هي اللِسَانُ لَهَا حُكْمٌ وسَيْطرَةً هي الرَسُولُ لَدَى الأَجْنَاسِ والدُوَلِ [3]

وهكذا لعبت الأحزاب السياسية دورا هاما في دفع الشعر إلى الأمام خاصة ذلك الذي يعبر عن مواقفها الثورية " ومن الثورة المسلحة إلى الثورة الفكرية، فالفكر العربي ولاسيما الجزائري اهتز اهتزازة مثيرة فبرزت حينا القصائد الآهبة والأناشيد الدافعة تلهب أنفاس الشعب وتدفع الثورة دفعا جبّار". [4]

فالشعر الذي عرف على صعيد حزب الشعب الجزائري، كان ذروة الشعر الثوري والتعبئة السياسية، لما لعبته الأناشيد الوطنية في إيقاظ الشعور والمشاركة في الثورة بكل ما أوتوا من قوة، وقد كان على رأس قائمة شعراء الثورة مفدي زكريا " فقد رفع رايته في نشيد وطني دوّت به أرجاء الجزائر في كل موقف ولذلك كان هدفا لمطاردة السلطات الاستعمارية، ورميه في السجون مع زعماء الحزب". [5]

1- صالح خرفي، " الشعر الجزائري الحديث"، ص27.

2- أبو القاسم سعد الله ، "شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة "، ص 72.

3- محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره" ، ص 42.

4- عبد الرحمان ابن إبراهيم العقون، " الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر" ، المؤسسة الوطنية للكفاح ج 3 1986 ص 494.

5- صالح خرفي، "الشعر الجزائري الحديث"، ص 208.

فمن ظلمات سجن بربروس انطلق هذا النشيد لمفدي زكريا سنة 1937م .

اِعْصِفِي يَا رِيَاحْ واقْصِفِى يَا رُعُودْ
واثْخَنِى يَا جِرَاحْ واحْدِقِى يَا قُيُودْ
نَحْنُ قَومٌ أُبَاهْ لَيْسَ فِينَا جَبَانْ [1]

كما نجد أيضا نشيد فداء الجزائر الذي يعتبر خلاصته الفكرية والثورية التي لم تعبر عن نفسها التعبير الصادق إلاّ في الثورة المسلحة، إذ أصبح هذا النشيد نشيد الجماهير الشعبية وجدت فيه تعبيرا عن المبدأ القومي الوطني الذي يعلو فوق الحزب حيث يقول:

فِدَاءُ الجَزَائِرُ رُوحِي ومَالِي أَلاَ في سَبِيلِ الحُرِيَةِ
فَلْيَحْيَ حِزْبُ الإسْتِقْلاَلِ وَنَجْمُ شَمَالِ اِفْرِيقْيَا
وَلْيَحْيَ شَبَابُ الشَّعْبِ الغَالِي مِثَالُ الفِدَا والوَطَنِيَةِ
ولْتَحْيَا الجَزَائِرُ مِثْلَ الهِلاَلِ وَلْتَحْيَا فِيهَا العَرَبِيَةِ [2]

العوامل الاجتماعية:

وضعت فرنسا خطة من أجل إبقاء النظام القبلي، وتنمية الروح العنصرية والطائفية، من أجل تمزيق شمل الوحدة الوطنية والقومية للشعب الجزائري، ففرضت لغتها على أبناء الشعب وحرمتهم من تعلم لغتهم ومبادئ دينهم وسلطة المشعوذين من رجال الدين على عقول الناس وفي هذا الصدد قال أحد الكتاب الجزائريين معبرا عن هذه الخطة: " لقد تسلّط على الأمة عوامل ثلاث لو تسلّط عامل واحد منها على أمة كبيرة لزعزع ركنها وهد بناءها ألا وهي الجهل والفقر والفرقة ، فالجهل أفقدها شعورها بوجودها، وكيف تدب عنه، والفقر أقعدها عن العمل وشل أعضاءها عن الحركة، والافتراق أذاب قوتها فبقيت والحالة عرضة للتلف والاضمحلال والهلاك وهي نتيجة طبيعية لتلك الحالة المحزنة التي جرّ إليها الظلم والإستبداد". [3]

وقد نجحت هذه الخطة مدة من الزمن، ولكن الحركات الوطنية سرعان ما قضت عليها لأن هدفها كان تضليل الشعب الجزائري بنشر الشعوذة وتحويل المساجد إلى كنائس، ومحو اللغة العربية وطمس الشخصية الوطنية.

كما عمل الاستعمار أيضا الإستلاء على جزء كبير من الأراضي الجزائرية، إذ انجر على هذا الإستلاء انتشار الفقر والجوع والأوبئة التي راح ضحيتها آلاف البشر" وفي الوقت التي كانت فيه أحوال المسلمين في حالة تدهور سواء في المدن والأرياف ". [4]

1- صالح خرفي، "الشعر الجزائري الحديث" ، ص 208.

2- المرجع نفسه، ص 210.

3- أنيسة بركات درار، " أدب النضال في الجزائر " المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984 ص41.

4- أبو القاسم سعد الله ، " الحركة الوطنية الجزائرية "، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ج 1، 2009 ص 375.

ومن هنا يمكن القول أنّ الاستعمار الفرنسي قد بنى سياسته في الجزائر منذ البداية على السلب والنهب وتجريد الأهالي من أراضيهم وممتلكاتهم، حتى يغرق الشعب في البحث عن القوت وينسون هذا الدخيل على البلاد.

وتعبيرا عن الحالة التي وصل إليها الشعب الجزائري يقول محمد العيد آل خليفة :

فَيَا وَيْحَ الفَقِيرُ يَضِيعُ جُوعًا وَلَيْسَ لَـهُ الأَقْوَامَ حَامِي

يَطُوفُ عَلَى المَزَابِلِ حَيْثُ يَرْجُو فُتَاتَ الخُبْزِ أو قِطَـعَ العِظَامِ

وَلَوْلاَ الجُوعَ لَمْ يَنْبُشْ قُمَامَا ولَمْ يَشْتَقْ إِلَى مَا فِي القُمَامِ [1]

تأزمت الحالة الاجتماعية للجزائريين، وبلغت المأساة ذروتها انتهت بتصدعات وشقوق في أوساط المجتمع، فهزت الشعور الوطني حيث كان للكلمة الفنية صوت مسموع ونبرة حزينة فطغت على الشعراء النظرة المتشائمة والقاتمة، وفي هذا الصدد قال (السعيد الزهراوي) : " أرى الجزائر في أنياب بؤس بمضغها مضغا، وأراها في فقر يأكلها أكلا لما، وأرها بعد ذلك تتخبط في جهاء عمياء، وتغمه في ضلال مبين، فلا أستطيع مع ذلك صبرا، أراها كذلك فيذوب لها فؤادي رقة وحزنا، وتذهب نفسي عليها حسرات، إنه ليكاد ينقضي عليّ الكمد ويقتلني الأسى، إذا أنا تذكرت ما كان لوطني من العزة والشرف، وما كان له من السيادة على الفرنجة ثم أراه صار بعد ذلك كله إلى الذلة والهوان " [2]

ولكن بالرغم من النظرة المتشائمة للشعراء من هذه المأساة كانت هناك ردود فعل إيجابية تصاعدت مع تباشير الإصلاح، فاستطاعت مع مر الأيام أن تفّجر من الركود انتعاش خاصة لمّا ظهرت للوجود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 م.

العوامل الثقافية:

كانت سياسة التجهيل شعار المحتل الفرنسي منذ دخوله أرض الجزائر فقد عمل بكل ما يملك على تشويه التراث القومي في عقول الناس، حيث طمس التاريخ ودنس الدين الإسلامي وأقص العربية من المدارس والهدف من هذا كله هو محو الشخصية الجزائرية من الوجود.

وتمثلت محاربة المحتل للتاريخ العربي الإسلامي في أمرين هما:

أولا: " رفض تعليم تاريخ الجزائر في ظل العروبة والإسلام لأبناء الجزائر في المدارس الفرنسية في نطاق محدود وفق ما تمليه السياسية الاستعمارية بحيث عوضته بتدريس تاريخ فرنسا الأم.

1- الوناس شعباني، "تطور الشعر الجزائري من 1945 حتى 1980"، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط الجزائر، ص 39.

2- صالح خرفي، " الشعر الجزائري الحديث "، ص 16.

ثانيا: العمل على تشويه القدر القليل الذي تسمح إدارة التعليم التابعة للاحتلال بتدريسه للجزائريين، حتى يحقق أهدافه المتمثّلة في مسح الشخصية الوطنية وتضليل الجزائريين بأنّ بلادهم لم يكن لهم تاريخ قومي ولكن كانت دائما خاضعة للأجانب أتراكا أو رومانا " [1]

كما غلب اللغة الفرنسية على اللغة العربية في جميع مراحل التعليم، وجعل اللغة البربرية لغة أدب في مختلف الوطن، والهدف منه هو تفكيك وحدة المجتمع، لأن اللغة العربية مقوما أساسيا في تقوية الروابط الاجتماعية والقومية للجزائريين، وفي هذا الصدد يقول الإمام (عبد الحميد بن باديس): " الرابطة التي تربط بين ماضي الجزائر المجيد، وحاضرها الأعز ومستقبلها السعيد، وهي لغة الدين، والجنسية والقومية، ولغة الوطنية المغروسة " [2]

وتعرض الدين الإسلامي إلى حرب ضارية من طرف المحتل وذلك بالإستلاء على جميع المساجد، وتحويلها إلى مراكز التنصير، ومصادرة الأوقاف الإسلامية، لأن الدين الإسلامي كان دائما مانعا حصينا ضد كل تهديد وساهم في حماية الشخصية الوطنية من الذوبان في الشخصية الأوروبية، وفي هذا الصدد قال (أحمد خطاب) في كتابه المغرب العربي " فإنّه لولا الدعوة إلى الإسلام والالتفاف حول هذه العقيدة وتعاليمه القيمة التي تدعوا إلى مقاومة الاستعمار باسم الإيمان والجهاد في سبيل الله والوطن لكان في الإمكان ذوبان السكان المحليين المتخلفين في مجتمع الأوروبيين المتقدمين" [3]

وكرد فعل لهذه السياسة الفرنسية تضافرت جهود الجزائريين وراء المنظمات وجمعيات الإصلاح، أسفرت على تأسيس جمعية العلماء المسلمين سنة 1931 بزعامة عبد الحميد بن باديس، شعارها : " الإسلام ديننا، الجزائر وطننا، والعربية لغتنا "، وانتشر التعليم العربي الحر وأتيحت فرص التعلم لأبناء الجزائر كبارا وصغارا، فاسترجعت البلاد مكانتها وهذا بإحياء اللغة العربية وبعثها من جديد باعتبارها لغة وطنية وقومية للجزائريين، وقد عبر الإمام عبد الحميد بن باديس عن دور التعليم القومي في بعث النهضة الفكرية قائلا : " ولا أدل على وجود روح الحياة في الأمة وشعورها بنفسها، ورغبتها في التقدم، من أخذها بأسباب التعليم الذي ينشر فيها الحياة ويبعثها على العمل ويسمو بشخصيتها في سلم الرقي الإنساني ويظهر كيانها بين الأمم".[4]

وكذلك من بواعث النهضة القومية هي عودة الاتصال الفكري والثقافي عن طريق الصحافة والكتب والمجلات والبعثات العلمية، ويتجلى دور الصحافة في ناحيتين:

1- رابح تركي ، " التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931 – 1956)"، ص 332 – 333 .

2- المرجع نفسه، ص 55 .

3- عمار بوحوش، " التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962"، ص 561.

4- رابح تركي، " التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931 – 1956)"، ص 328.

الأولى: ناحية ثقافية إصلاحية هدفها الدين، اللغة، العروبة والإسلام.

الثانية: سياسة نضالية.

لقد التف المواطنون العرب في مشارق الأرض ومغاربها حول القضية الجزائرية يدعمونها بجميع الوسائل،" وراح الشعراء والكتاب يدعمون بأقلامهم الثورة بحيث لا يكاد عدد لصحيفة أو مجلة صدرت أثناء قيامها من مقال أو قصيدة يتغنى فيها شاعرها بأمجادها أو بطولتها أو يتنازل فيها كاتبها أحداثها، وتعاملوا معها كثورة عربية جاءت لتؤكد أن الأمة لم تنته كما صورها أعداؤها، بل إن هذه الثورة عبرت من خلال أحداثها عن حب العربي للحرية وعن صلابة عودة النضال من أجلها". [1]

هذا الجو المعبئ بالظروف الصعبة كون ميدانا ملائما أخذ منه النص الأدبي قوته فاتّسم الأدب الجزائري بروح جديدة يحفزها الانبعاث الفكري، إذ أصبح يتلمس في الشعب بعثا جديدا تميز بالاعتزاز وإحياء الأمجاد عن طريق ما يسمى بأدب النضال.

وهكذا فمصطلح النضال دعته ظروف الوطن آنذاك وغذته روح العصر والذي يعتبر سلاحا لتحطيم الاستعمار، وتغيير الواقع المر، وقد عرفه الأديب (فرانز غانون) في كتابه"معذبو الأرض": " هو أدب يبقى قبل كل شيء أداة للكفاح الذي يخوضه الشعب المستعمر في معركته ضد العدو ." [2]

1- عثمان سعدي،" الثورة الجزائرية في الشعر العربي"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 2، ج1،1985 ص 12.

2- أنيسة بركات درار، " أدب النضال في الجزائر "، ص 55.

أبعاد الوطنية في الشعر الجزائري

الوطنية هي ما ينتج عن حب الوطن، وما يشع من كيان الإنسان حيث يشعر بتعلق عاطفي وارتباط قلبي بالمحل الذي ولد ونشأ وترعرع فيه، كما يشعر بتعلق باطني نحو أهل ذلك المحل ونحو جميع الذين عايشهم، وعاشرهم وألفهم في صغره وصباه.

فالوطنية تبدأ حبا بريئا صغيرا ثم تكبر وتنمو وتتغلغل في كيان الفرد إلى أن تصل إلى منتهاها الروحي.

لقد تبنى الشعراء الجزائريون النزعة الوطنية لما استدعته ظروف البلاد آنذاك رامين إلى أبعاد تمثلت فيما يلي:

*** البعد الجغرافي:**

هناك من أنكر وجود الدولة الجزائرية من بينهم الفرنسي "شارل أندري جوليان" الذي عرف بالاتجاه الاشتراكي واطلاعه الواسع على قضايا شمال إفريقيا حيث قال:" إن الدولة الجزائرية لم تكن إلا بالاسم " [1] معتمدا على نظرية بناها مؤرخون استعماريون هدفها محاربة الوطنية الجزائرية القائمة على أنّ الجزائر بلد مخلوق للاستعمار، وتعود دوافع هذه النظرية إلى سببين رئيسيين هما:

أولا: إنها كانت تحاول تبرير الاستعمار الفرنسي في الجزائر كونها مستعمرة من قبل الأتراك والرومان.

ثانيا: أنها كانت تحاول فصل الجزائريين عن حضارتهم العربية الإسلامية. [2]

رفض التاريخ هذه النظرية المزيفة، فالفترة الممتدة ما بين 1516-1830، تثبت أن:" هناك دولة جزائرية ظهرت إلى الوجود تقوم على الوحدة الجغرافية والاقتصادية والسياسية إضافة إلى الوحدة الفكرية والروحية المؤيدة من طرف السكان المحليين لها والمعززة بجيش بري وأسطول بحري وذات علم وبرلمان وعاصمة، كما كانت لها تقاليدها العرفية والدبلوماسية حسب القانون الدولي المعمول به آنذاك ". [3]

لقد رد على هذه الإدعاءات ابن باديس ردا صريحا حيث قال: " إنّنا نحن فتشنا في صحف التاريخ ، وفتشنا في الحالة الحاضرة وجدنا الأمة الجزائرية مسلمة متكونة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ولها وحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها... ثم أن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست فرنسا لا تستطيع أن تصير فرنسا

1- أبو القاسم سعد الله، " أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر " ، ص62.

2- المرجع نفسه، ص 63.

3- المرجع نفسه، ص 64.

ولو أرادت بل هي أمة بعيدة عن فرنسا... لا تريد أن تندمج ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده العالية المعروفة " [1]

لقد أحدثت هذه الكلمة انقلابا في الرأي العام الجزائري لأن ابن باديس أثبت فكرة الوطن الجزائري، وقطع بذلك وهم فرنسا التي أرادت أن تجعل الجزائر مقاطعة لها، وهو يرى أن مشكلة البلاد لن تحل إلا عن طريق الاعتراف بكيان هذا القطر العربي الإسلامي، وقد نادى بهذه الحقيقة في وقت صعب كانت فيه كلمة الوطن والوطنية جريمة سياسية في نظر المحتل الفرنسي.

كما كان رد ابن باديس واضحا في قصيدته المشهورة حيث قال :

شَعْبُ الجَزَائِرِ مُسْلِمٌ وإِلى العُرُوبَةِ يَنْتَسِبْ
مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أَصْلِهِ أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذِبْ
أَوْ رَامَ إِدْمَاجًا لَـهُ رَامَ المُحَالُ مِنَ الطَلَبِ

إلى أن يقول:

مَنْ كَانَ يَبْغِي وُدَنَا فَلَـهُ الكَرَامَةَ والرَحَبْ
أَوْ كَانَ يَبْغِي ذُلَنَا بِالنُورِ خَطَّ، وبِاللَّهَبِ
فَإِذَا هَلَكَتْ فَصَيْحَتِي تَحْيَا الجَزَائِرُ وَالعَرَبِ [2]

إنّ هذه القصيدة هي حقا صيحة في وجه الاستعمار، ودفاع عن الجزائر المسلمة وإبان هذه الحقبة اتّضحت مواقف الجزائريين الداعية إلى تأكيد وتحذير فكرة الوطنية.

ويوضح "ابن باديس" معنى الوطنية ويدل على أبعاده في مقولته المشهورة،" لمن أعيش" قائلا: " أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص، وأنا أشعر بأن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة، فأرى من الواجب أن تكون خدماتي أول ما تتصل بشيء تتصل به مباشرة وكما إنني كلما أردت أن أعمل عملا وجدتني في حاجة إليه، إلى رجاله وإلى ماله وإلى حاله وإلى آماله ... " [3]

إنّ الوطنية في الجزائر كانت بمثابة الصخرة الصّماء تحطمت عليها جميع الأطماع الاستعمارية، ولم تكن تقوقعها داخل حدود الرقعة الجغرافية الواحدة، أو انطلاقا على هموم الوطن ومشاكله، بل تعني التشبث بقيم الشعب وأصالته ووحدته، كما تعني الفضاء المغاربي والمشرقي تجمعهم وحدة الدم والتاريخ والدين واللغة، وتظهر هذه الوطنية بشكل واضح من خلال ثورة أول

1- أنيسة بركات درار، " محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر" ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، د ط 1995، ص 241 – 242.

2- صالح خرفي، "الشعر الجزائري الحديث"، ص 206.

3- مصطفى بيطام ، "الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954- 1962" ، ص 216.

نوفمبر التي عايشها الجميع في كل ربوع الوطن بجباله وصحرائه ومدنه مما يدل على أصالة الشعب وروحه النضالية العالية.

في هذا المقام صرح الشاعر الجزائري "أبو الحسن علي بن صالح" صارخا في وجه فرنسا غداة الثورة التحريرية بأن الجزائر أمّة ذات عزة وكرامة قائلا:

فَرَنْسَا اِعْلَمِي أَنَّ الجَزَائِرَ أُمَةٌ بِأَمْجَادِهَا بَيْنَ الشُعُوبِ تُفَاخِرُ
لَقَدْ نَشَرَتْ فِي الغَابِرِينَ حَضَارَةً وَهَذَا فَمُ التَارِيخَ مُمْتَنٌ وَشَاكِرُ
جَزَائِرُنَا شَعْبٌ أَبَى شِعَارَهُ هُوَ السِّلْمُ والإِسْلاَمُ رُوحَ مُبَاشِرُ
جَزَائِرُنَا شَعْبُ الهُدَى مُتَمَدِنٌ لَهُ مِنْ قَدِيمٍ في المَعَالِي مَفَاخِرُ [1]

كما تعتبر الوحدة الترابية إلى جانب وحدة الشعب في صدارة الأبعاد الوطنية التي دفع أبناء الوطن ثمنا غاليا، وقصيدة "صرخة الثوار" لصالح خباشة تعكس هذه الفكرة حيث قال :

اِسْمَعُوهَا صَرْخَةَ الثُوَارِ مِنْ كُلِ ثَائِرِ صَرْخَةَ المَدْفَعِ والرَشَاشِ هَادِرِ
وِحْدَةُ القُطْرِ وَشَعْبِي فِي الجَزَائِرِ غَايَةُ الثُوَارِ فِي أَرْضِ المَفاخِرِ
يَا بِلاَدِي أَنَا أَقْسَمْتُ بِثَـأْرِي أَنَا دُونَ النَصْرِ لاَ تَخْمَدِ نَارِي
لَنْ تَمَسُّوا اليَوْمَ بِالتَقْسِيمِ دَاوِي لَنْ تَمُدُّوا يَدَكُمْ نَحْوَ الصَحَارِي [2]

*** البعد الإسلامي :**

لقد حاول المحتل الفرنسي بشتى الوسائل والطرق تجريد الوطن الجزائري من سيادته وأصالته، حتى يسهل إدماجها وإنهاء كيانها، إلا أنه بفضل الإيمان الراسخ وتجذر العقيدة الإسلامية في نفوس الجميع، لم يفلح الأعداء في مسعاهم، وذلك بفضل التضحيات الجسام التي قدمها أبناء الشعب في سبيل نصرة الجزائر المسلمة وعزّتها واستقلالها.

إن الثورة الجزائرية لم تكن قائمة على نظرية أو فكرة إيديولوجية مستوردة من الشرق أو من الغرب، بل قامت على أساس الإسلام بكل مقوماته وأبعاده، "الإيديولوجيا في مفهومها كعلم هي مجموعة الآراء والمعتقدات ، خاصة تلك التي لا تؤمن بالدين " [3] وهذا ما يؤكد أن الثورة الجزائرية ليست حربا دينية أو رجوعا إلى الإقطاعية بكل أشكاله.

" والمتّتبع لأحداث الثورة يجد أنّها منذ اندلاعها جسّدت مبادئ الإسلام وأقّرت بشريعته السمحاء ودليل ذلك أهم الشعارات المطبقة في أوساط المجاهدين والمواطنين كإطلاق أسماء لعديد من

1- مصطفى بيطام ، " الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954- 1962 "، ص 219.
2- المرجع نفسه، ص 221.
3- المرجع نفسه، ص 266.

العظماء وقادة الإسلام أمثال خالد وعقبة ومحمد إضافة إلى ترديد كلمات الله أكبر الحمد لله والجهاد والشهادة " [1]

وقد انعكست هذه الشعارات في شعر الجزائر، حيث عبّر عنها الشاعر عبد السلام الحبيب الجزائري في قصيدته "ضيف الله" أهدها إلى روح الشهيد البطل مصطفى بن بولعيد وهي من النماذج التي تعكس البعد الإسلامي في الشعر يقول فيها:

اللهُ خَصَكَ بِالتَكْرِيمِ والرُسُلِ لك الجِنَانَ هَنِيئًا أَيُّهَا البَطَلُ
لك الخُلْدُ الذِكْـرَ سَطَّرَهُ دَمٌ طَهُورٌ وقَلْبُ مَا بِهِ وَجَلٌ
دَمُ الشَهَادَةِ مَا أَعْطَيْتُ جُلَّ دَمُ اللهُ بَارَكَهُ هَلْ بَعْدَ ذَا أَمَلُ
ووَعَدَكَ الحَقُّ في القُرْآنِ أَنَّ لَهُمْ جَنَاتُ عَدْنٍ مِنْهُمْ رُوَادُهَا الأوَلِ [2]

ومن الأبعاد الإسلامية التي خلّدها شعراء الثورة وعبروا عنها، الدعوة إلى الصبر والثبات والمضي قدما في درب الجهاد حتى التحرير الكامل للجزائر المجاهدة ففي قصيدة "في السجن" لرمضان حمود دعا فيها السجناء إلى الصبر أمام المحن والأهوال ما دام الكل قد ثاروا فسجنوا في سبيل عزة الجزائر واستقلالها، علما أنّه عانى هو كذلك بين جدران السجن ، حيث اعتقل بسبب حادث وطني في غرداية مع أحرار وطنيين عام 1925 فيقول:

سَمِعْتُ، بِأَنَّ السِجْنَ أَضْيَقُ مِنَ القَبْرِ
فَأَلْفَيْتُ قَعْرَ السِجْنِ أَحْسَنُ مِنْ قَصْرٍ
فَمَاذَا يُفِيدُ القَصْرُ والقَلْبَ حَائِرُ
ومَاذَا يَضُرُ السِجْنَ ، مَنْ كَانَ ذَا قَدَرٍ
ومَنْ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الرَدَى بِنِضَالِهِ
سَيَشْكُو الأَذَي والدَّمْعَ مِنْ عَيْنِهِ يَجْرِي [3]

ويذهب الشاعر "صالح خرفي" إلى التأكيد أنّ الثوار الجزائريين ما هم إلاّ امتداد طبيعي لمجاهدي الأمة الإسلامية، فهم ثاروا من أجل إحياء الإسلام، وإعادة أمجاده وبطولاتهم وقد شبه جهادهم في سبيل الله بما وقع في غزوتي بدر وأحد :

فَفِي أَرْضِ الجَزَائِرِ خَيْرُ جُنْدٍ يُقِيمُ لِغَابِرِ الإسْلاَمِ ذِكْرَى
كَأَنَّكَ فِيهِمْ (بَعْلِي) يُنَادِي لَقَدْ وَعَدَ الإلَهُ الحَقَّ نَصْرَى
وسَيْفُ اللهِ يُذَّكِيهَا فَيَمْضِي كَأَسْرَعَ مِنْ وَمِيضِ البَرْقِ سَرَى[4]

1- مصطفى بيطام ، "الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954- 1962"، ص 268.
2- المرجع نفسه، ص 270.
3- محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره" ، ص 217.
4- مصطفى بيطام، " الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954- 1962 "، ص 272.

ويمكن القول بالإضافة إلى اللغة العربية التي تجمع العرب، هناك روابط أخرى وهي الدين والأرض، " حيث يعتبر الإسلام واجبا ، "وجوب المقاصد وهي واجبة وجوب الوسائل" بتعبير (فضيل الورتلاني) ومن ثّم فهي دعامة لهذا الانتماء الإسلامي وليست أداة لنزوع عرقي"[1]
معنى هذا أن اللغة العربية تمثل الركيزة الأساسية للانتماء الإسلامي، حيث يقدّسها غير الناطقين بها من المسلمين في معظم أقطارهم.

البعد العربي:

أسهمت وطنية الشعراء الجزائريين في إحياء عروبة الجزائر في أذهان العرب المشارقة الذين كانوا يجهلون قبل ثورة نوفمبر حقيقة هذا الوطن، فقد كانت جغرافية الجزائر تدرس خارج نطاق الخريطة العربية إلاّ أنّ هذا لم يدم طويلا، إذ سرعان ما تغير، وأخذت الجزائر موقعها ضمن جغرافية الوطن العربي وتاريخه في البرامج التعليمية [2] ، نستخلص من هذا أنّ بعث عروبة الجزائر ليس بالفكرة الدخيلة على الشعراء، فالبعد العروبي لديهم كان نابعا منهم وليس مفروضا عليهم، ممّا يؤّكد أصالة هذه العروبة.

وما يجب أن يكون عليه العمل العربي المشترك قول محمد بشير الإبراهيمي: " فالعالم العربي بهذه العروبة المكينة كالجسد الواحد إذا ألمّ بجزء من أجزائه حادث، أو نزلت مصيبة تداعت له سائر الأجزاء بالنصرة والغوث أو بالتوجع والامتعاض... " [3]

إنّ نظرة شعراء المغرب العربي وشعراء الجزائر بصورة خاصة إلى العروبة تبدوا نظرة حميمية متجاوبة مع كل الأقطار والمشاكل والأحداث العربية دونما تعصّب، فمفدى زكريا في قصيدته " تعطّلت لغة الكلام " يصور ذلك الحنين إلى العروبة، وذلك التجاوب بين الجزائر وبين الأقطار العربية، يقول :

يَا أُمَـةَ العَرَبِ الكِرامْ كَرَامَةَ لَكِ فِي الجَزَائِرِ حُرْمَةٍ وَذِمَامُ
في كُلِ أَرْضٍ للعُـرُوبَةِ عِنْدَنَا رَحِمٌ تَتَشَابَكُ عِنْدَهَا الأَرْحَامُ
إنْ صَاحَ فِي أَرْضِ الجزَائِرِ صَائِحٌ لَبَّتْهُ، مِصْرَ وأَدْرَكَتْـهُ شَامُ
في المَغْرِبِ العَرَبِي عِرْقٌ نَابِضٌ يُزَكِيهِ في حَرْبِ الخَلاَصِ ضِرَامُ
عِزُّ العُرُوبَةُ في حِمَى اِستِقلاَلُنَا أَيَطَيْرُ مَقْصُوصَ الجَنَاحِ حَمَامُ [4]

1- عمر بن قينة، " في الأدب الجزائري الحديث، تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما " ، ص 68.
2- مصطفى بيطام ، " الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954- 1962 "، ص 250.
3- المرجع نفسه، ص 250.
4- المرجع نفسه، ص 252.

إنّ الشاعر كما يتضّح من النص وهو يتّعرض لموضوع العروبة كان حادا في أسلوبه وتعابيره، ولعلّ ذلك يعود إلى أحد الأمرين: إمّا إلى طبيعة الشاعر الحماسية التي تغلبت علّيه أو إلى نتيجة الظروف الجديدة بعد قيام الثورة التحريرية.

ونجد الشاعر في قصيدة أخرى "اقرأ كتابك" يتحدّث عن هذه القضية بصورة أكثر تفصيلا وتحديدا، ويشير إلى أنّ الأعداء الذين حاولوا فصل الجزائر عن عروبتها ولكنّهم لم يتمكنّوا، حيث يقول:

وتَعَمَدُوا قَطعَ الطَريقِ فَلم تردْ أسبَابَهُ بالعربِ أنْ تتقطَعَا
نَسيبٌ بِدُنيَا العَربِ زَكَى غَرْسُهُ أَلَمُ فَـاروقِ دَوحَـهُ وتَفرَعَا
إمَّا تَنَهُدُ بالجزائرِ مُوجـعُ أَسَـى الشَامُ جِراحهُ وتَوجَعَا
واهتزَّ في أرضِ الكِنانةِ خَافقُ وأقضَى في أرضِ العراقِ المَضْجَعَا
وارتجَّ في الخضراءِ شَعبٌ مَاجِدُ لَمْ تُثْنِـهِ أرزَاؤُهُ أنْ يَفْزَعَا
وهَوَتْ مُرَاكِشْ حَولَهُ وتَألَّمَتْ لِدُ خَـانٍ واسْتَعَدَ جَدِيسِ وتَتَبَعَا
تِلكَ العُروبَةُ أنْ تُثِرْ أعْصَابَهَا وهْنَ الزَمانِ حَيًا لَها وتَضَعْضَعَا [1]

ومع الإصرار الإنتمائى تتصاعد المقومات الأساسية للوطن، وتبرز الملامح المميزة له، التاريخ بذكرياته الماثلة، الدين بعقيدته وإيمانه، القومية بأصالتها وعراقتها، اللغة بتراثها وحضارتها وهذا ما نجده واضحا عند مفدى زكريا حيث يقول:

بِلادُ المغرب العربـي (شرق) وكانت قِبلةُ العـرب شرَقَا
فحيُوا في بني بغدادِ شعبًا زَكَا في الخالدينَ وطـابَ عِرْقَا
وحيُوا مِصرَ ، موطِنَ كُلَّ حُرٍ ألاَ عَلى عهدِ العُروبةِ سوف نَبْقَى
سيعترفُ الزمانَ غداً بأنَّ سبقنَا وثَبَةُ الأقَـدَارِ سَبقا
وأنَّ في الجزائرِ خيرَ شعبٍ عُروبتَهُ مَدى الأجيالِ وثْقَـي
وأنَّ الوِحدةَ الكُبرَى إذا ما تحررتْ الجزائرُ – سوف تبقَى [2]

ويتضّح لنا من هذه النصوص أنّ الشاعر مفدى زكريا وإن جسّم البعد العربي في إطار التضامن الجغرافي والحضاري والنضال المشترك، فإنّ الشّاعر صالح خرفي قد عمّق هذا التجسيم إلى مستوى الإحساس الدقيق وذلك حين يقول:

1– مصطفى بيطام ، " الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954– 1962 "، ص 252.
2– المرجع نفسه، ص 253.

عَربٌ نحنُ والعروبةِ غذَّتْ بهواهَا عُـروقَنَا ودِمَانَا
هي كالنبعِ دافقٌ في الحنَايَا إنْ تكن في اللسانِ غاضتْ بيانَا
عربُ اليومَ بالدِماءِ وأنَا عربِ فـي غُددِهَا ولسانَا [1]

كما نجد الانتماء إلى الأمة العربية واضحا عند رمضان حمود في قصيدته "أيّها العرب والخطوب جسام" فهو يخاطب العروبة كلها تاريخا ودينا وأرضا قائلا :

أيُّهَا العربُ والخُطوبَ جِسامُ دونَ هذا العناءُ موتَ زُؤامُ
أيُّهَا العربُ والحوادثَ جاءتْ مُمطِـراتُ كأنَّهنَ غِمامُ
إنْ يَكُنْ للحياةِ فيكم طُموحُ فمتى النُطقِ والسُكوتِ حرامُ [2]

وقد استطاع الشعراء الجزائريين إيصال الأحاسيس والمشاعر الوطنية والحنين القومي للحرية والعدالة الاجتماعية إلى العرب، هذا ما جعلهم يؤمنون بالقضية الوطنية الجزائرية التي استلهم منها الشعراء المشارقة شعرهم، ونظّموا أجمل القصائد من وحيها.

يقول الشاعر اللبناني "يوسف الخال":

تُرابُنَا استِفاقُ فالربيعُ غارسُ هنا وغارسُ هناك
في ملاعبِ الرَدَى
تَدحرجتْ حِجارةُ الطُغاةِ
والقَبرُ لم يَعُدْ لنَا
لنا الحياةُ
وفرحِ الثمارِ بالجنةِ
في سفركَ العظيمِ يا جزائرُ [3]

ويقول أيضا الشاعر السعودي حسن عبد الله القرشي في قصيدته "ثوار الجزائر"

كم رَحبٍ أهْفُو نحوهمْ في جُلكِ الكِفاحِ
لا يأملونَ للضَنى، للهولِ ، للجراحِ
ويغزِلُونَ في الدُجى أجنحةَ الصباحِ
ذُؤابةُ الأوراسِ لا يرهبنَ سلاحِ[4]

1- مصطفى بيطام، " الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954- 1962 "، ص 253.

2- محمد صالح الجابرى، " الأدب الجزائري المعاصر " ، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، ط 1، 2005 ص 51.

3- أحسن مزدور، " الثورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر"، مكتبة الآداب القاهرة، د ط، 2005 ص 11.

4- المرجع نفسه، ص 20.

هنا الشاعر يمدح ثوار الجزائر، ويصف شجاعتهم وصمودهم بصمود جبال الأوراس بحيث نلاحظ تأثّر الشعراء العرب بالثورة الجزائرية فكانت بمثابة مصدر إلهام لهم ، استمّدوا منها شعرهم الثوري النضالي المقاوم من أجل تحقيق الحرية.

ومن خلال هذا الفصل نستنتج أنّ الشّعب الجزائري كان شعبا مخلصا ومحبا ومضحيا من أجل الوطن في سبيل تخليصه من قيود المحتل المستبد الجائر، وذلك لما يحتويه من تمتع بالروح الوطنية والنضال بكل عناصره ومثقفيه من شعراء وكتّاب، وبالرغم من الظروف القاسية التي عاشها الجزائريين إلاّ أنّهم لم يهملوا الشؤون العربية الإسلامية، فكانوا مساندين لإخوانهم العرب ضد أعدائهم ، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على مدى أصالة الشعب الجزائري.

فكان للثورة الجزائرية أبعاد سمع صداها القريب والبعيد لما حملته من قوة وشجاعة ومقاومة إلى آخر قطرة في دمهم حتى يحققوا الأمنية الغالية ألا وهي الاستقلال والحرية.

وسنتطرق في الفصل الثالث إلى تحليل قصيدة "دمعة على الأمة" التي تتجلى فيها الوطنية والتي تبيّن بشكل واضح معاناة كل جزائري على وطن طالما كان بمثابة الروح له وذلك من خلال نفس شاعر جزائري يعتبر نموذج يعكس ما كان يشعر به كل الجزائريين.

الفصل الثالث

تحليل قصيدة " دمعة على الأمة "

1-المستوى التركيبي .

2-المستوى الدلالي .

3-المستوى الإيقاعي .

– دمعة على الأمة –

بَكَيْتُ ومثلِي لا يَحقُّ له البُكَا ... على أُمّةٍ مَخْلوقةٍ للـنوازِلِ
بَكَيتُ عليها رحمةً وصبابـةً ... وإنّي على ذاكَ البُكَا غيرُ نَـادِمِ
ذَرَفتُ عليها أَدْمُعًا من نوَاظِرِ ... تُساهرُ طولَ اللّيل ضوءَ الكَواكبِ
بَكيتُ على قَومِي لُضعفِ نُفُوسِهِمْ ... على حملِ أَثقالِ العُلَى والفَضَائِلِ
بَكيتُ عليهم، والحَشَا مُتَقطِعُ ... بُكائِي على طفلٍ ضعيفَ العزائِمِ
بَكيتُ عليهم، إذْ رأيتُ حيَاتهِمْ ... مُكدرةٌ مَملوءةٌ بِالعجائِـبِ
بَكيتُ عليهم إذْ نَسوْا كلَّ واجبٍ ... ومَالُوا إلى حبِّ الهوى والرذائِلِ
بَكيتُ عليهم كُلَّما هبَّ حِرصَهُمْ ... وَظنُّوا بِأنّ المرءَ عبدَ الدراهمِ
بَكيتُ عليهم – لاَ أُبالِكُ – فالبُكَا ... طبِيبٌ، يُبِلُ الصدرَ عند المصائِبِ
بَكيتُ فلم يُجدِ البكـاءِ عليهم ... فلونُ الدُّجى يبْدُولهم غير حائِلِ
رَضَوْا بحياةِ الذُّلِ، والجهلِ والكَرَى ... عن العلمِ فرُّوا،والحُجَى،والمكارِمِ
فَلا سمعُوا صَوتَ النُبوغِ يُفيدَهم ... ولا تركُوا جوًّا فَسِيحًا لكاتِبِ
بَكيتُ على شبابِنَا وغُرُورَهم ... فَمَا بَالَهُم لم يَهتَدُوا بالأوائِلِ
بَكيتُ على روحِ البلادِ تَضاءَلَتْ ... بجهلٍ، وخذلانٍ، وكُفرَ النعائِمِ
بَكيتُ على الأيّامِ ثم نُحوسِهَا ... فعاشَ كريمُ النفسِ رهنَ المخالِبِ
ولَمْ أبكِ جُبْنًا أو مخافةَ ناطقٍ ... فلي همةٌ منْتامةٌ للجلائِلِ
تمرُ على المكروهِ وهي طليقةٌ ... وتلبِسُ ثَوبَ الصبرِ عند العظائِمِ
ولكنَّمَا أَبكِي نُفوسًا ضعيفةً ... رَأَتْ خدمةَ الأوطانِ ليس بواجبِ
غَفَلْنَا فلم نَنْظرْ لما يجرِي حولَنَا ... على أنَّ هذا الدهرَ ليس بغافِلِ
جُمودٌ، وجَهلٌ وافتراقٌ تَجَّمَعَتْ ... علينا، فلم نَحفلْ برفعِ الدعائِمِ
سَلَكْنَا طريقًا للوبالِ مَصيرَهُ ... نَبذْنَا حياةَ الشَّعبِ عنَّا بجانِبِ
كَفَانَا، كفانَا ! فالحياةُ تَبدَّلتْ ... ألا اخْتارُوا ما يَحلُو بخيرِ الوسائِلِ
فَسيرُوا حثيثًا واسْتردُّوا فَخارَكُمْ ... فبَئِستْ حياةُ المرءِ تحتَ الأداهِمِ
فإنْ دُمتُمْ فيما أرَى من تخاذِلٍ ... فلن تَبلغُوا – والله – أعلى المراتِبِ
سَتُبدِى لنا الأيامُ كلَّ كريهةٍ ... إذْ نحنُ سِرنَا في طريقِ الغوافِلِ[1]

1- محمد ناصر، "رمضان حمود الشاعر الثائر"، ص 140.

فَنَضحَى بِلا عَينٍ،ولا الأذنٍ،والحجَى ويُصبِحُ قولَ الحقِّ نفسَ الجرائِمِ
فَنبكِي دماءً كلَّمَا قامَ دَهـرُنَا ليَخطبَ فينَا بالردَى والنـوائِبِ
وما المـرءُ إلاّ بالعلومِ معظَّمٍ ولا نالَ بالإهمـالِ أعلَى المنازِلِ
ولا سَادَ قـومٌ هِمهمْ في تراثِهِمْ ولا خيـرَ يَأتِيهم بأحلاَمٍ نَائِمِ
وما ضَـاعَ حقٌ خَلَّفَهُ من يُرِيدَهُ ولا ماتَ شَعبٌ أو هوى بالمطالِبِ [1]

1- محمد ناصر، "رمضان حمود الشاعر الثائر"، ص 140.

1- المستوى التركيبي :

إنّ للّغة قيمة كبرى ودور خطير في الشعر، لأنّها أداته التي يكتسب بها وجوده باعتباره فنا من الفنون، فإذا كانت الألوان أداة الرسم، والحجارة والمواد المجسّمة أداة النحت ... فإنّ اللغة هي أداة الشعر وبذلك فاللغة الشعرية في شعر "رمضان حمود " قريبة من المستوى العام وهذا لا يعني أنّها اقتربت من الخطاب العامي، إنّما صار البيت الشعري وسطية تسمح بإيصال رسالة الخطاب إلى السامع أو القارئ دون اللجوء إلى قاموس العرب ومعالجتها، والسبب حسب النقاد يرجع أساسا إلى أنّ الشعراء كانت غايتهم نشر الفكر الإصلاحي. وبذلك تعددت الدراسات والمناهج التي ولّت اهتماما بالغا بهذا الجانب، حيث تناولت هذه الأخيرة مستويات وأبعاد تعتبر ضرورية في دراسة العمل الأدبي وتحليله تحليلا منهجيا .

ونحن الآن بصدد تحليل نص شعري بعنوان " دمعة على الأمة " معتمدين في ذلك على المستوى التركيبي باعتباره أهم وأول خطوة في التحليل الأسلوبي وبعده المستويين الدلالي والإيقاعي.

نقوم في بداية الأمر بتحليل عنوان القصيدة باعتباره مفتاحها ألا وهو" دمعة على الأمة " التي جاءت مليئة بوصف حالة الشعب الجزائري التعسة والواقع المرير الذي يعيشه شعبه ويظهر ذلك في قول رمضان حمود :

بَكيتُ ومثلي لا يحِقُّ له البُكَا على أمـَةٍ مخلُوقَةٍ للنَوازِلِ
بَكيتُ عليها رحمةً وصبابَةً وإنّـِي على ذاكَ البُكَا غيرُ نادِمِ
ذَرفْتُ عليها أدمُعًا من نواظِرِ تُساهِرُ طولَ اللَّيلِ ضوءَ الكواكِبِ [1]

الشاعر هنا يبكي ويتحسر على أمته وشعبه لما وصل بها من بؤس وشقاء ويشفق عليها لما آلت إليه من أوضاع. مذرفا عليها دموعا ساخنة تعكس آلامه الشخصية التي تمتزج بآلام مجتمعه.

لقد استعان الشاعر بجملة من الأفعال الماضية والمضارعة بإحصاء كل زمن على حدى، إذ وجدنا غلبة الفعل الماضي الذي يصل إلى حوالي ثماني وثلاثين فعلا وهي : " تدل على حدث جرى قبل التكلم "[2] أي أنها تدل على زمن مضى وانتهى، وأيضا " كلمة تدل على مجموع أمرين معنى وزمن فات قبل النطق بها " .[3]

ونذكر منها في قوله :

1- محمد ناصر، "رمضان حمود حياته وآثاره"، ص 215.

2- أحمد قبش، " الكامل في النحو والصرف والإعراب "، دار الجيل بيروت. لبنان ط2 1974، ص 8.

3- عباس حسن، " النحو الوافي "، دار المعارف القاهرة ط15، ج1 2004 ص 47.

بَكيتُ عليهم، إذْ رأيتُ حَياتَهُمْ مُكدرَةٌ مملوءَةٌ بالعجائِبِ
بَكيتُ عليهم إذْ نَسَوْا كلَّ واجبٍ ومَالُوا إلى حُبِّ الهوى والرذائِلِ
بَكيتُ عليهم كلَّمَا هَبَّ حِرصَهُمْ وظَّنُوا أنّ المرءَ عبد الدراهِمِ [1]

والأفعال الموجودة في الأبيات هي بكيت ثلاث مرات، رأيت، نسوا، مالوا، هبّ، ضنوا، وهي تدل على الماضي.

ونجد الأفعال الماضية موجودة بكثرة في مواضع مختلفة من أبيات القصيدة ومثالا على ذلك نذكر: ذرفت، رضوا، عاش، مات، ضاع، نال، رأيت، ساد ...

أما الأفعال المضارعة فهي لا تبلغ عدد الأفعال الماضية التي كانت في حدود السابع عشر وهي: " تدل على حدث جرى أثناء أو بعد زمن التكلم دون إضافة، فإن دخلته لم انحرف إلى الزمن الماضي وهو مبنى ومعرب" [2] كما أنّها " كلمة تدل على أمرين معا: بمعنى وزمن صالح للحال والإستقبال". [3]

ومثال على ذلك قوله :

تَمُرُ على المكروهِ وهي طليقةً وتَلبسُ ثوبَ الصبرِ عند العظائِمِ.
ولكنَّمَا أبكِي نفوسًا ضعيفةً رأتْ خدمةَ الأوطانِ ليس بواجِبِ [4]

والأفعال الدالة على المضارع في هذين البيتين هي: تمر، تلبس، أبكي. وهناك أفعال مضارعة وردت في مواقع مختلفة من القصيدة منها: يريده، يأتيهم، تساهر، تبدي، يجري، يصبح ...

أما أفعال الأمر لم يكن لها حظ في الاستعمال الوافر وذلك لأنها جد قليلة التوظيف مقارنة بالماضي والمضارع ولا يصل عددها خمسة وهي: " ما يطلب به الحصول بعد زمن المتكلم"[5]، بالإضافة إلى ذلك فهو: " كلمة تدل بنفسها على أمرين مجتمعين هما معنى وهذا المعنى مطلوب تحقيقه في زمن المستقبل". [6]

1- محمد ناصر، " رمضان حمود الشاعر الثائر"، ص 30.
2- عباس حسن، "النحو الوافي"، ص 15.
3- المرجع نفسه، ص 47.
4- محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره "، ص 31.
5- أحمد الحملاوي، " شذى العرف في فن الصرف "، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000، ص 14.
6- عباس حسن، " النحو الوافي "، ص 48.

فالأمر في اللغة: " يحمل رغبة الأمر في استجابة المأمور لشيء ما سواء كان فعلا أم قولا" [1]
ومن أمثلة ذلك:

كفَانَا، كفانا ! فالحياةُ تبّدلتْ ألا اختَاروا ما يحلُوبخير الوسائلِ
فسيروا حثيثًا واستردُوا فخاركُمْ فبئستْ حياةَ المرءِ تحتَ الأداهِمِ [2]

والأفعال الدالة على الأمر في هذه الأبيات هي : اختاروا، سيروا، استردو... وأفعال الأمر محصورة في هذين البيتين فقط، وذلك أنّها لا تتوفر في أبيات أخرى من القصيدة.

فالشاعر مزج بين الأفعال الماضية والمضارعة والأمرية وترجع دلالة توظيف الأفعال الماضية لأنّها تفيد الوصف والإخبار وتقرير الحقائق وهي تدل على مدى حزن الشاعر وكآبته وهذا نابع من واقع التجربة التي عاشها أثناء الاحتلال الفرنسي، وما نتج عنها من أوضاع مزرية، ولتأكيد التجربة الشعرية للشاعر ومعايشته للواقع قام بتوظيف الأفعال المضارعة التى تفيد الآنية ومعايشة الحدث والإستمرارية، كما تعبر عن حالة نفسية ذات المسحة التشاؤمية القاتمة، فهو يدعو أبناء وطنه إلى النهوض والفطنة وذلك بسبب فقدانه لمنقذ يخلصه مما هو فيه وهو ما يملأ القلب كمدا وحزنا مستعملا أفعال الأمر للدلالة على ذلك .

مزج رمضان حمود في قصيدته " دمعة على الأمة " بين الجمل الاسمية والجمل الفعلية التي لا يمكن الإستغناء عنها في تركيب أي نص، والجملة هي : " كلمتان أساسيتان لابد منهما للحصول على معنى مفيد كالفعل مع فاعله أو مع نائب فاعله مثل (فرح الفائز) و(أُكرِمَ النَابِغُ) وتسمى هذه الجملة فعلية لأنها مبدوءة بفعل، وكالمبتدأ مع خبره أو ما يغنى عن الخبر في مثل (المال فاتن) و(هل الفاتن مال؟) وتسمى هذه الجملة إسمية لأنّها مبدوءة باسم، فالجملة إما إسمية أو فعلية " [3]

ومن هنا نستنتج استخدامه المفرط للأفعال يؤدي بالضرورة إلى طغيان الجملة الفعلية عن الاسمية ومن أمثلة الجمل الفعلية نجد : بكيت عليها رحمة، سلكنا طريقا للوبال، ستبدى لنا الأيام، تلبس ثوب الصبر... وغيرها من الجمل الفعلية التي يتّضح أنّها بسيطة لأنها تتكون من مركب اسنادى واحد .

أما الجمل الاسمية مثلا تظهر في قول الشاعر :

وما المرءَ إلاّ بالعلومِ معظمٌ ولا نالَ بالإهمالِ أعلى المنازِلِ .

1- مختار عطية، " علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم دراسة بلاغية "، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، (د ط)، ص 215.

2- محمد ناصر، " رمضان حمود الشاعر الثائر"، ص 216.

3- عباس حسن، " النحو الوافي "، ص 422.

ويقول في موضع آخر:

ولكنّما أَبكي نُفوسًا ضعيفةً رأتْ خدمةَ الأوطانِ ليس بواجِبِ [1]

نلاحظ أنّ الجمل الاسمية وردت مركبة من ناسخ واسمه وخبره، كما كان لاستعمال رمضان حمود الأفعال دلالة على الإنفعال والحركة على عكس دلالة الأسماء التي تدل على الثبات والسكون .

مزج رمضان حمود في أسلوبه بين ما هو خبري وما هو إنشائي فالخبري كما عرفه البلاغيون هو: " ما يحتمل التصديق والتكذيب، الإنشاء خلاف ذلك أي مالا يستعمل تصديقا ولا تكذيبا، أو الخبر هو ماله نسبة في الخارج تطابقه والإنشاء هو ما ليس له نسبة في الخارج " [2]

فالأسلوب الإنشائي يقصد به: "هو ما يحتمل الصدق والكذب، فالإنشاء ما لا يحصل ولا يتحقق إلاّ إذا تلفظت به " [3]

حيث جاء على أساليب متعددة نذكر منها:

أ – الأمر : الذي استعمله بغرض دعوة الشعب إلى النهوض والمضي قدما لاسترجاع الأمجاد فجاء في مثل قوله :

فسيروا حثيثًا واستردُوا فخارَكمْ فبئست حياةَ المرءِ تحت الأداهِمِ .

ب– النهي : الذي ورد في البيت التالي:

كفَانَا، كفانَا ! فالحياةُ تبَّدلتِ ألا اختَارُوا ما يَحلُو بخيرِ الوسائِلِ

والغرض من هذا النهي هو النصح والإرشاد .

وفي مقابل الأسلوب الإنشائى جاء الخبري لوصف الحالة النفسية التى يعيشها الشاعر. وتقرير الحقائق وكذا وصفه للحالة السيئة بكل ما تحمله من أبعاد فيقول:

بَكيتُ على قومي لضعفِ نُفوسِهم على حملِ أثقالِ العلى والفضَائِلِ

بَكيتُ عليهم، والحَشَا مُتقطعٌ بُكائِى على طفلٍ ضعيفَ العزائِمِ

بَكيتُ عليهم، إذْ رأيتُ حياتَهمْ مُكدرةً مملوءةً بالعجائِـبِ [4]

لا تخلو قصيدة " دمعة على الأمة " من أدوات الربط وكان لاستعمالها في هذه القصيدة هدفا

1– محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره"، ص 216.

2– رمضان صادق، " شعر عمر بن الفارض – دراسة أسلوبية " الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998 ص 98.

3– السيد أحمد الهاشمي، " جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع "، المكتبة العصرية، بيروت لبنان (د ط) 2002 ص 57 .

4– محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره "، ص 215.

معينا ألا وهو تحديد المعاني الإعرابية. ويعرّف محمود مطرجي الحرف بأنّه : " ما دلّ على معنى في غيره فإذا جاء في كلام ظهر له معنى وإذا انفرد بنفسه لم يدل على معنى" [1]

حيث استعمل حروف الجر والتي يقصد بها : " سميت حروف الجر لأنّها تجر معنى الفعل قبله إلى الاسم بعده، أو لأنها تجر ما بعدها من الأسماء أي تخفضه وتسمى حروف الخفض" [2]

ومثال ذلك (في، مِنْ، على، الباء، إلى) إلاّ أنّها كانت أقل استعمالا مقارنة بحروف العطف مثل الفاء، ثم، والواو هذه الأخيرة كانت مكررة كثيرا.

نجد رمضان حمود قد استعمل هذه الحروف بكثرة في قصيدته هذا ما دفعنا إلى أن نختار مقطوعة منها تجمع بين حروف العطف والجر .

بكيتُ على شَبابِنَا وغرُورهُم فَمَا بَالَهُم لم يهتَدُوا بالأَوائِلِ

بَكَيْتُ على روحِ البلادِ تضاءلَتْ بِجهلِ، وخُذلانِ، وكُفرَ النَعَائِمِ

بَكَيْتُ على الأيامِ ثم نُحُوسِهَا فعَاشَ كريمَ النَفْسِ رَهنَ المَخَالبِ [3]

فالغرض من استخدام حروف الجر هو الربط بين أفكار القصيدة وجعلها متجانسة ومترابطة الأجزاء، أما حروف العطف فوظيفتها تتمثل في الربط بين المتعاطفين والجمع بينهم.

وبانتقالنا إلى الضمائر نجد أنّ الشاعر يفرط في استعمالها حيث يعرفها أحمد قبش : " اسم جامد يقوم مقام ما يكنى به من اسم ظاهر للمتكلم أو المخاطب أو الغائب، والغرض من الإتيان به الإختصار " [4]

استعمل الشاعر رمضان حمود الضمائر المتصلة بشكل كبير مثل (النون) التي تفيد التعميم حيث يقول :

غفَلنَا فلم ننظرْ لما يجرِي حولنَا على أنَّ هذا الدهرَ ليس بغافِلِ .

بالإضافة إلى ضمير (الهاء) ونجد ذلك في قوله :

فلا سَمعُوا صوتَ النُبوغِ يفيدَهمْ ولا تَرَكوا جوًّا فسيحًا لِكاتِبِ

كما نجد "تاء المتكلم " واردة بكثرة لأنّها تعبير عن الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر فنجدها في قوله مثلا :

1- محمود مطرجي، " في النحو وتطبيقاته "، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ط1 2000 ص 12 .

2- الشيخ مصطفى الغلايني " جامع الدروس العربية "، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ط1 2006 ص 463.

3- محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره"، ص 216.

4- أحمد قبش، " الكامل في النحو والصرف والإعراب"، ص 239.

بَكيتُ ومثلي لا يحِقُّ له البُكَا على أمةٍ مخلوقَةٍ للنوازِلِ
بَكيتُ عليها رحمةً وصبابَةً وإنِّي على ذاكَ البُكَا غيرَ نادمِ

استعمل الشاعر صيغتا النكرة والمعرفة فالمعرفة هي : " اسم دل على معين، معرفة بالألف واللام، والنكرة هي اسم دل على غير معين مجردة من الألف واللام " [1]

وردت صيغة المعرفة بكثرة في هذه القصيدة وهذا شيء طبيعي لأنّه يتحدث عن حالته النفسية وعن حالة وطنه واصفا إيّاها بالحالة المميتة والمدمرة لأبناء وطنه في تلك الفترة.

ومن بين هذه المعارف نذكر (النوازل، الفضائل، العزائم، العجائب، الرذائل، المصائب المكارم، المخالب، الجرائم...) .

أما النكرات نجدها في (رحمة، طولا، حملي، طبيب، جوا، جمود، جهل، افتراق دماء، قوم، شعب).

إنّ استعمال الشاعر لصيغة المعرفة بكثرة هي تعبير عن وجدان الشاعر وما تحمله من دلالات معبرة عن نفسه فهي تؤدي إلى تكوين الصورة الشعرية والحسية، هذا يعنى أن الشاعر لم يوظّف الأشياء المجردة ويظهر ذلك في استعماله لصيغ النكرة التي تدل على الصورة المجردة.

ويمكن تبيين طبيعة الصورة في قصيدة "دمعة على الأمة " من خلال التعرض إلى الأنواع البلاغية التى شكلت هذه الصورة وهي الإستعارة : " هي المجاز اللغوي وهي تشبيه حُذِفَ أحد طرفيه فعلاقتهما المشابهة دائما وهي قسمان تصريحية هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به ومكنية هي ما حذف المشبه وفيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه " [2]

وفي تعريف موجز للإستعارة يتمثل في : " استخدام كلمة بدلا من كلمة أخرى بينهما علاقة مشابهة " [3]

لقد استعمل رمضان حمود في شعره الإستعارة المكنية حيث وردت في قوله :

تَمرُ على المكروهِ وهي طليقةً وتَلبِسُ ثوبَ الصبرِ عند العظائِمِ.

1- مصطفى الغلاييني، " جامع الدروس العربية "، ص 96.

2- علي جازم مصطفى أمين " البلاغة الواضحة ودليل البلاغة "، دار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط) 2004 ص 124.

3- صلاح الدين صالح حسنين، " الدلالة والنحو"، مكتبة الآداب (ط1)، ص 88.

وردت الاستعارة في البيت السابع عشر من القصيدة في قوله (ثَوْبَ الصَبْرِ) حيث جعل من الصبر وهو شيء معنوي على أنّه شيء مادي له ثوب يلبسه حذف المشبه وهو الإنسان وأتى بأحد لوازمه الفعل(يلبس). وهي استعارة مكنية .

كما نجد أيضا الإستعارة في البيت السابع والعشرين في قوله : (قام دهرنا)، وفي البيت الرابع نجد : (أثقال العلا) ودور الإستعارة هو تشخيص وتقوية المعنى .

بالإضافة إلى الاستعارة وظّف الشاعر رمضان حمود التشبيه في قصيدته وهو: " صورة تقوم على تمثيل شيئ (حسى أو مجرد) بشيء آخر (حسّي أو مجرّد) لاشتراكهما في صفة (حسّية أو مجرّدة) أو أكثر " [1]

ويظهر ذلك في قوله :

بَكيتُ عليهم – لا أُبالِكُ – فالبكا طبيبٌ، يُبلُ الصدرَ عند المصائبِ

فالتشبيه في قوله: (البُكا طبيب) وهو تشبيه بليغ ذكر طرفيه المشّبه (البكا)، المشبه به (طبيب) .

أما بالنسبة للألوان البديعية فهو لم يستعملها بكثرة لأنّه ينقل لنا أحاسيس ومشاعر منعكسة عن واقع مرير لا يحتاج للتنميق من أجل إيصال فكرته بل اكتفى فقط ببلاغة الصورة الشعرية، فاستعمل الطباق الذي نعنى به : " الجمع بين الشيء وضده في الكلام وهو نوعان : طباق السلب : وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا، طباق الإيجاب : وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا " [2] والذي نجده في البيت العشرون في قوله :

جمودٌ، وجهلٌ وافتراقٌ تَجَّمعتْ علينا، فلم نحفَلْ برفعِ الدعائِمِ

والطباق يظهر في قوله : افتراق ≠ تجمعت وهو طباق الإيجاب.

وفي موضع آخر يقول :

غَفَلْنَا فلم ننظرْ لما يجرِي حولَنا على أنَّ هذا الدهر ليس بغافِلِ

يتجلى الطباق في قوله : غفلنا ≠ ليس بغافل وهو طباق السلب حيث يراد بالطباق توضيح المعنى.

2- المستوى الدلالي:

1- محمد أحمد قاسم، " علوم البلاغة، البديع والبيان والمعانى "، المؤسسة الحديثة للكتاب – طرابلس، لبنان ط1، 2003 ص 143.

2- محمد محمد طه هلالي، " توضيح البديع في البلاغة "، المكتب الجامعى الحديث الإسكندرية، ط1 1997، ص 10.

من المعروف أنّ اللّغة الشعرية تختلف من شاعر لآخر، فلكل واحد معجمه الخاص به بحيث يتصرف في الألفاظ فيأخذ ما يشاء ويترك أيضا ما يشاء.

والشاعر الموهوب هو الذي ينتقى الألفاظ التي تتناسب مع طبيعة الموضوع، ويشحنها بمختلف الدلالات التي تعبّر عما يختلج في نفسه .

ويظهر في قصيدة "دمعة على الأمة " أنّ الشّاعر حمود رمضان قد استخدم ألفاظا قوية موجبة ومعبّرة عما يختلج في نفسه من مشاعر صادقة تحمل أبعادا ودلالات مختلفة، وقد ظهر ذلك من خلال تحليلنا لهذه القصيدة التي قسّمناها إلى مقطوعات.

فالمقطوعة الأولى والممتدة من البيت الأول إلى البيت العاشر يبدي فيها الشاعر عن أسفه وحزنه على ما حلّ بشعبه من ألم وضعف عكسه الإستعمار على أوضاعهم، ويظهر ذلك في تخاذلهم وضعف نفوسهم وما دلّ على حزنه تلك البكائيات التي تتكرر في صدر كل بيت حاملة ملامات ومساءلات عما أصاب الشعب الجزائري، وعما أقعده عن التحرر من قيود الإستعمار الفرنسي، والتّطهر من رجسه، ويظهر ذلك جليا في الأبيات التالية :

بَكَيْتُ على قومِي لضعفِ نُفوسِهِمْ على حملِ أثْقَالِ العُلى والفضَائِلِ
بَكَيْتُ عليهم، والحشَا مُتَقطـعٌ بُكائِى على طفلٍ ضعيفِ العزائِمِ
بَكَيْتُ عليهم، إذْ رأيْتُ حَياتَهُمْ مُكـدرةً مملُوءةً بالعجائِبِ
بَكَيْتُ عليهم إذْ نَسَوا كلَّ واجِبٍ ومَالُوا إلى حبِّ الهوَى والرذائِلِ [1]

ومقطوعته الثانية والممتدة من البيت الحادي عشر إلى البيت الثاني عشر، يظهر فيها الشاعر كذلك قلقه وأسفه لما رآه من ضعف وانهزام في عزيمة شعبه، وذلك بابتعادهم عن العلم الذي ينير فكرهم ويوجه هدفهم نحو الأفضل، ورضوخهم إلى حياة الذلّ والجهل، وهذا ما نجده في قوله :

رَضوا بحياةِ الذُّل، والجهلِ والكرى عن العلمِ فرُّوا، والحُجَى، والمَكارِمِ
فلا سَمعُوا صوتَ النبوغِ يُفيدَهُمْ ولا تَركُوا جوًّا فسيحَا لكاتِبِ [2]

أما مقطوعته الثالثة والممتدة من البيت الثالث عشر إلى البيت الواحد والعشرين يعود فيه الشاعر ليعبّر عن شكاياته وملاماته على الشباب الجزائري الذين تركوا البلاد تتخبط في الجهل والضعف والخذلان نحو واجبهم تجاه وطنهم، وقد ظهر ذلك في قوله :

بَكَيْتُ على شبابِنَا وغرُورَهمْ فما بالهُمْ لم يَهْتَدوا بالأوائِلِ

1- محمد ناصر، " رمضان حمود الشاعر الثائر"، ص 140.

2- محمد ناصر، "رمضان حمود حياته وآثاره"، ص 215.

بَكَيْتُ على روحِ البلادِ تضَاءَلَتْ بِجهلٍ، وخُذلانٍ، وكُفرَ النعائِمِ

ثم قام باللوم والعتاب على الإهمال الذي ملك نفوسهم الضعيفة وما عكسه من جمود وجهل، وافتراق، ونبوذ لحياة الكرامة والعز ويظهر ذلك حين قال:

جُمودٌ، وَجهلٌ وافتراقٌ تجَّمعَتْ علينا، فلَمْ نَحفلْ برفعِ الدعائِمِ

سَلَكْنَا طريقًا للوبالِ مصيرَهُ نَبذنَا حياة الشَّعب عنَّا بجانِبِ [1]

وهذا ما ذهب إليه معظم الشعراء الوطنيين المصلحين الجزائريين أمثال مفدى زكريا الذي يخاطب قومه محذرا إياهم على أنّ ضعف نفوسهم يؤدى بهم إلى الفشل وبالتالي الرضوخ إلى حياة الذّل وفي هذا يقول :

يا ضِلاَلَ المُستضعفِينَ إذا هُمْ أَلِفُوا الذُّلَ واستطابُوا القُعودَا

لَيسَ في الأرضِ بُقعةٌ لذلِيلٍ لَعَنَتهُ السماءَ فعاشَ طريدَا [2]

والغاية من وراء هذين البيتين هي إثارة الهمم وهز النفوس حتى يهبّ شعبه ثائرا في وجه العدو.

ثم تأتى المقطوعة الموالية والممتدة من البيت الثاني والعشرين إلى البيت السابع والعشرين فالشاعر هنا يدعوا الشعب إلى النهوض والسير نحو الأمام لاسترجاع الأمجاد إذ : " أصبح الوطنيون يؤمنون أنّ لا طريق لنيل الحرية إلاّ عن طريق الثورة " [3]

ويظهر ذلك في قوله :

كَفَانَا، كَفَانَا ! فالحياةُ تَبَدَّلَتْ ألااختَارُوا ما يَحلُوبخيرِ الوسائِلِ

فسِيرُوا حَثِيثًا واسْتَّردوا فخَارَكُمْ فبِئستْ حياةُ المرءِ تحتَ الأداهِمِ

وفي دعوة الشعراء إلى العودة إلى استرجاع الأمجاد يقول محمد مصايف (ت 1987) : " عندما يذكرون الماضي، ولا سيّما المُشرِقْ منه إنّما يفعلون ذلك تخليدا لروح النضّال في الشعب، وطلبا للدروس والعبر التاريخية، التي توعى الفرد والجماعة بواجباتها نحو الوطن وتذكيرا للغزاة بأنّ لهذا الشعب ماضيه الأغر الذي يشده، وشخصيته التي تقيه من كل ذوبان" [4]

1- المرجع نفسه، ص 216.

2- حواس برى، " شعر مفدى زكريا دراسة وتقويم "، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون – الجزائر (د ط)، ص 68.

3- يحي الشيخ صالح، " شعر الثورة عند مفدى زكريا – دراسة فنية تحليلية " دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة . الجزائر ط1 1978 ص 32.

4- محمد بن قاسم ناصر بوحجام، " الشعر والهوية القومية "، منشورات التبيين ظن الجاحظية سلسلة الدراسات، الجزائر، د ط، 1999 ص 22.

وأنّهم إذا عادوا إلى التخاذل والاستسلام، فإنّهم لا يحققوا بذلك هدفهم في الحرية ويعيشوا طوال عمهم نادمين ومذلولين، فيبكوا دما ندما على ضعفهم وذلك يظهر في قوله :

فإنْ دُمتُمْ فيما أرَى من تخاذُلِ فلنْ تَبلِغُوا – والله – أَعْلَى المراتِبِ

سَتُبْدِى لنَا الأيامُ كلَّ كريهةً إذْ نحن سِرنَا في طريقِ الغوافِلِ

أما المقطوعة الأخيرة فيدعوا الشاعر فيها شعبه إلى الاهتمام بالعلم وما يعكسه هذا الأخير من علو في المنازل وتنوير في الفكر حيث يستطيع من خلاله أن يأتي ما يريد، وذلك في قوله:

وَمَا المرءَ إلاّ بالعلومِ معظّمٌ ولا نَالَ بالإهمالِ أَعْلَى المَنَازِلِ

ولاَ سَادَ قَومٌ هَمُهُمْ في تراثِهِمْ ولاَ خَيرَ يَأتيهِمْ بأحلَامِ نَائِمِ [1]

اعتمد الشاعر رمضان حمود على حقول دلالية والتي نعنى بها : " مجموعة من الكلمات المتقاربة في معانيها يجمعها صنف عام مشترك بينهما " [2]

وغايته في استعمالها هي تجسيد لأفكاره، وكل ما يختلج نفسه من حزن وألم فقسم معجمه إلى حقلين هما:

1- حقل الحزن : وهو الحقل الغالب على معجمه الشعري والذي تدل عليه تلك البكائيات التي تتكرر في صدر كل بيت، فنجد لفظ (البكاء) يتكرر في لفظه أثنتي عشر مرة، غير أنّه يتكرر بمعناه في أكثر من موضع كما في قوله : ذرفت، أدمعا، مما يرفع من عدد الألفاظ الدالة على البكاء إما بلفظها وإما بمعناها إلى أربع عشر لفظة.

2- حقل الطبيعة : حيث وظّف بعض الكلمات التي تدل عليه منها: الليل، الكواكب، ضوء جوا...

المستوى الإيقاعي :

ميّز العرب قديما بين الشعر والنثر بواسطة الإيقاع الموسيقي "الوزن" فقالوا "الشعر كلام موزون مقفى " [3] فإنّ الذي يميز لغة الشعر عن لغة النثر هو الصورة الفنية التي بفضلها يحقق الشعر السحر لما يحدثه في القارىء من تأثير وانجذاب مغناطيسي .

يرى الناقد "محمد ناصر" أن موقف رمضان حمود من التقليدية معروف وريادته في سبيل إعطاء مفهوم جديد لدور الوزن لا ينكر حيث كان يحاول أن يتخلص من أسس الرتابة الموسيقية

1- محمد ناصر، "رمضان حمود الشاعر الثائر"، ص 140.

2- محمد محمد يونس علي، " مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب "، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية – طرابلس – الجماهرية العظمى ط1، 2004 ص 33.

3- عبد الحميد هيمة " الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري "، طبع بمطبعة دار هومة، بوزريعة الجزائر، د ط، د س، ص 56.

في كثير من قصائده ولا سيما في القافية، فهو دائم التنويع في قوافيه وذلك ما ورد في هذا النص الشعري وذلك لأنه "مثلث القافية لام، فميم، فباء، وهذه الحروف هي الأكثر ورودا في مألوف العادة في الشعر العربي لسهولة مخارجها على اللسان ولجمال وقعها في الآذان" [1]

وظّف "رمضان حمود " في قصيدته بحر الطويل وذلك رّبما لأنّه ليس بين بحور الشعر ما يضارع البحر الطويل في نسبة شيوعه، فقد جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم من هذا الوزن.

وقد أجاد "رمضان حمود " في إظهار موسيقى النص لحسن اختياره لبحر القصيدة وهو البحر الذي يتناسب مع حالته النفسية الكئيبة حيث أنّه " يمتاز بالرصانة والجلال في إيقاعه الموسيقي وهو أصلح البحور لمعالجة موضوعات الحماسة والفخر والمدح والقصص والرثاء والإعتذار والعتاب ". [2]

وينتمي هذا البحر إلى الدائرة الأولى وهي دائرة المختلف، وهذه الدائرة تتكون من وتد مجموع فسببين خفيفين أي (مفاعيلن) وكذلك وتد مجموع وسبب خفيف أي (فعولن).

وهذه الدائرة تضم ثلاثة بحور وهي الطويل والمديد والبسيط، إلاّ أنّ بحر الطويل هو المستعمل في شعر رمضان حمود ومفتاحه:

" طويل له دون البحور فضائل فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن " [3]

التقطيع العروض

تقطيع البيت الثاني :

بَكَيْتُ عليها رَحْمَةً وصَبَابَةً وإنّي على ذَاكَ البُكَا غيرَ نَـادِمِ [4]

بكَيْتُ	عَلَيْهَا	رَحْمَتَنْ و	صَبَابَتَنْ	وَإِنْنِي	عَلَى ذَاكَ	لْبُكَا	غَيْرَ	نَادِمِي	
/ /0/	/0/0//	0 / 0/0//	/ 0//	0 / /0//	0 /0//	0 /0/0//	0 /0/0//	0/ 0//	0//0//
فعول	مفاعيلن		فعول	مفاعلن	فعولن		مفاعيلن	فعولن	مفاعلن
القبض			القبض	القبض					القبض

وبعد تقطيعنا لكل أبيات القصيدة وجدنا الزحافات التي طرأت على بحر القصيدة هي القبض، الكف.

1- عبد الملك مرتاض، "معجم الشعراء الجزائرين في القرن العشرين"، ص 417.

2- غريد الشيخ، " المتقن في علم العروض والقافية "، دار النشر، بيروت لبنان، د ط، د س ، ص 77.

3- جورج مارون، " علما العروض والقافية "، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، د ط، 2008، ص 30.

4- محمد ناصر، "رمضان حمود حياته وآثاره" ، ص 250.

1- زحاف القبض : وهو" سقوط الحرف الخامس الساكن ودخوله على مَفَاعِيلُنْ تصبح "مَفَاعِلُنْ" ودخوله على فعولن تصبح "فَعُولٌ " [1]

2- زحاف الكف : وهو" حذف الحرف السابع الساكن من الجزء، ودخوله على مَفَاعِيلُنْ تصبح مَفاعِيلُ " [2]

والبحور التي يدخل عليها زحاف القبض هي الطويل، الهزج، المضارع.

أما العلل فنجد علة الحذف وهو" إسقاط السبب الخفيف من آخر التفعيلة ودخوله على مفاعيلن فتصبح بعد الحذف مفاعي وتنقل إلى مفاعل بسكون اللام " [3]

وهذه تقطيعات بحر الطويل وأهم الزحافات والعلل التي طرأت عليه.

أما القافية فهي الجزء الذي ينتهي به البيت الشعري العربي، وهو جزء مهم وقد تعددت تعريفات القافية، فنجدها كما عرفها الخليل بن أحمد الفراهيدي هي " من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن ". [4]

ويعرّفها علماء العروض بأنّها هي " المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر أبيات القصيدة، أي المقاطع التي يلزم تكرار نوعها في كل بيت " [5]

ونجدها في قصيدة "دمعة على الأمة" تتحدد في قوله :

بَكَيْتُ ومِثْلِي لا يَحِقُّ لَهُ البُكَا على أُمَةٍ مَخْلُوقَةٍ لِلْنَوَازِلِ [6]

بَكَيْتُ وَمِثْلِي لاَ يَحِقُّ لَهُ لبُكَا على أُمَتِنْ مَخْلُوقَتِنْ لِنْنَوَازِلِي

0//0/

القافية

1- جورج مارون، "علما العروض والقافية "، ص 27.

2- المرجع نفسه، ص 27.

3- عبد العزيز عتيق، " علم العروض والقافية " الشركة الدولية للطباعة، دار الآفان العربية، د ط، 2004 ص 173.

4- جورج مارون، " علما العروض والقافية "، ص 145.

5- عبد العزيز عتيق، " علم العروض والقافية "، ص 134.

6 - محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره "، ص 215.

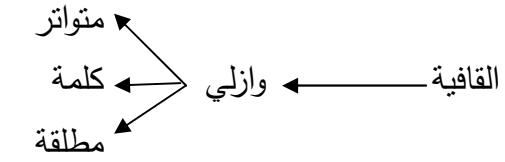

فالقافية هنا تتحدد في "وازلي"، وفي أبيات أخرى من القصيدة على سبيل المثال نجد : نادمي، كارمي، صائبي، كاتبي، واؤلي، عائمي... إذ لها دور كبير في البحر الذي تظهر من خلاله.

ونجد القافية في هذه القصيدة متواترة من بدايتها إلى نهايتها حيث أنّها تؤدي دورا فعالا في تنظيم الإيقاع وربط الأبيات ببعضها البعض .

والقافية تتكون من ستة حروف وقد جمعها صفي الدين الحلي في قوله:

مَجرَى القافيةُ في حروفِ ستةُ كالشمسِ تجري في علوِبُرُوجِهَا

تأسيسُهَا ودخيلهَا مع ردفِهَا ورَوِيُهَا مع وصلِها وخروجِهَا [1]

ولعل أهم حرف من هذه الحروف هو حرف الروي الذي يعد عنصرا أساسيا، يلزم تكراره في نهاية كل بيت وإليه تنسب القصيدة وهو الحرف الصحيح الذي يأتي في آخر بيت وسمي مطلقا إن كان ساكنا.

أمّا الحروف التي لا تصلح للروي فهي التي ليست أصلية في بنية الكلمة مثل حروف المد والهاء والتنوين.

وبذلك نستنتج أنّ قافية القصيدة من النوع المطلق لأنّ حروفها متحركة .

ومن الظواهر الملاحظة في قصيدة "دمعة على الأمة " نجد ظاهرة (التضمين) وهو" ألاّ يستقل البيت بمعناه، بل يكون المعنى مجزوءا بين بيتين".[2]

أي أن يكون البيت الثاني مكملا للبيت الأول في معناه وذلك كأن يرد المبتدأ أو الفعل في البيت الأول ثم يأتي الخبر أو الفاعل أو المفعول به في البيت الثاني ومثال ذلك:

بَكيتُ على الأيامِ ثم نُحُوسِهَا فعاشَ كريمَ النفسِ رهنَ المخالِبِ [3]

ولم أَبْكِ جُبنًا أو مخافةَ نَاطقٍ فلي هِمَةُ مُنتامَةُ للجـلائِلِ

نجد التضمين في هذين البيتين، حيث يتم الكلام بواسطة حروف العطف، " الواو، الفاءّ " والغرض منه إتمام المعنى وهذه الظاهرة حققت الوحدة العضوية للقصيدة.

1- غريد الشيخ، "المتقن في علم العروض والقافية"، ص 20.

2- عبد العزيز عتيق، " علم العروض والقافية "، ص 166.

3- محمد ناصر، " رمضان حمود حياته وآثاره"، ص 216.

خاتمـة:

تعتبر الوطنية من الموضوعات اللافتة لانتباه الشعراء منذ القدم، فحب الوطن يظلّ دائما الدافع الذي يرتمي الشّعراء من أجله في براكين الثورات شاهدين عليها بشعرهم، ومشاركين فيها بأنفسهم حتى تحفل بهم الزنازن وتمتلئ بهم السجون، فيدشنون المقاصل غير آبهين بما تفعله أيدي الظالمين والطغاة، وقد شهدت تطورا ملحوظا خاصة بانتشار حركات التحرر في المشرق والمغرب العربيين.

تجسّدت هذه النزعة في الشعر الجزائري، وكان رمضان حمود في طليعة الشّعراء الذين تناولوا هذا الموضوع .

بعد دراسة موضوع الوطنية في شعر رمضان حمود من خلال قصيدته " دمعة على الأمة " توصلنا إلى جملة من النتائج نستخلصها فيما يلي:

1- يعتبر الشعر الوطني تعبيرا عن الواقع المعيش.

2- واكب رمضان حمود الفترة الاستعمارية، الأمر الذي جعله يهتم بقضايا وطنه ، فسلك المنحى الوطنية، والاتجاه الثوري بلغة خطابية مباشرة.

3- يعدّ رمضان حمود شاعرا رومانسيا مجددا ومصلحا متأثّرا بشعراء رومانسيين أمثال أبي القاسم الشّابي.

4- يعكس شعره في الوطنية أحواله النفسية الكامنة في أعماقه من حزن وألم إذ أنّ أشعاره ما هي إلاّ تعبيرا يجيش عما بداخله من أحزان وآلام، رافضا الواقع المعيش وآملا لمستقبل جديد.

5- لم يكن تعلق رمضان حمود في قصيدته" دمعة على الأمة " بالماضي الزائل والبكاء على المجد الآفل هروبا من الحاضر المؤلم، والواقع المر، بل كان غرضه إثارة الحماسة في نفوس الأخلاف كي تنهض لتستضيء بتجربة الأسلاف.

وفي الأخير نأمل أن نكون قد وفيّنا ولو جزءا قليلا من إضاءة بعض الجوانب المحيطة بحياة الشاعر الوطني الجزائري رمضان حمود، ورغم ذلك يبقى هذا الشاعر محتاجا لإضاءة الكثير من جوانبه بالدراسة والتحليل، متمنيين أن يكون عملنا هذا نقطة انطلاق لبحوث أخرى واستفادة جادة منه.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

I- المصـادر:

1- ابن منظور الإفريقي المصري، " لسان العرب، دار صادر بيروت، ملج 15، د ط.

2- أحمد راقب قبيعة، " الأسيل القاموس العربي الوسيط" ، هيئة الأبحاث والترجمة دار الراتب الجامعية بيروت، ط1، 1997

3- جبران مسعود ،"رائد الطلاب"، دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت لبنان ط5، أكتوبر 1998.

4- الخليل ابن أحمد الفراهيدي، " كتاب العين "، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ملج 4، ط1 ، 2003

5- الزبيدي الحنيفي، " تاج العروس من جواهر القاموس" ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ملج 12، ط1 ، 2005م

6- وهبة مجدي، " معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب العربي"، مكتبة لبنان ساحة الرياض الصالح بيروت، ط2، 1984

II- المراجـع:

1-أبو القاسم سعد الله ، " الحركة الوطنية الجزائرية "، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ج 1، 2009.

2-أبو القاسم سعد الله ، " شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة " ، المؤسسة الوطنية للكتاب ط 3، 1984.

3-أبو قاسم سعد الله،" أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر"، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ج2، 1986.

4-أحسن مزدور، " الثورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر"، مكتبة الآداب القاهرة، د ط، 2005 .

5-أحمد الحملاوي، " شذى العرف في فن الصرف "، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000.

6-أحمد الخطيب، "جمعية العلماء المسلمين الجزائرين وأثرها الإصلاحي في الجزائر"، طبع المؤسسة الوطنية رغاية، د ط 1985.

7-أحمد قبش، " الكامل في النحو والصرف والإعراب "، دار الجيل بيروت. لبنان ط2 1974.

8-أنيسة بركات درار، " أدب النضال في الجزائر " المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984 .

9-أنيسة بركات درار، " محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر" ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، د ط 1995.

10- جورج مارون، " علما العروض والقافية "، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، د ط، 2008.

11- حواس برى، " شعر مفدى زكريا دراسة وتقويم "، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون – الجزائر (د ط).

12- رابح تركي، " التعليم القومي والشخصية الجزائرية " ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2.

13- رمضان صادق، " شعر عمر بن الفارض – دراسة أسلوبية " الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998 .

14- السيد أحمد الهاشمي، " جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع "، المكتبة العصرية، بيروت لبنان (د ط) 2002.

15- شريبط أحمد شريبط " معجم أعلام النقد العربي في القرن العشرين "، مخبر الآداب المقارن والعام جامعة باجي مختار، عنابة، د ط .

16- شريبط أحمد شريبط، " دراسات ومقالات في الأدب الجزائري الحديث " ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية د ط، وحدة الرغاية – الجزائر ، (د س) .
17- شريبط أحمد شريبط، "مباحث في الأدب الجزائري المعاصر" ، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين الجزائر ط 1، 2001.
18- الشيخ مصطفى الغلاييني " جامع الدروس العربية "، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ط1 2006 .
19- صالح خرفي،"الشعر الجزائري الحديث"، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية، د ط، 1984
20- صالح خرفي،"في الأدب الجزائري الحديث"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1983.
21- صلاح الدين صالح حسنين، " الدلالة والنحو"، مكتبة الآداب (ط1).
22- عادل نويهض، "معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر"، مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر– بيروت – لبنان، ط 2، 1980.
23- عباس حسن، " النحو الوافي "، دار المعارف القاهرة ط15، ج1 2004 .
24- عبد الحميد هيمة " الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري "، طبع بمطبعة دار هومة، بوزريعة الجزائر، د ط، د س.
25- عبد الرحمان ابن إبراهيم العقون، " الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر" ، المؤسسة الوطنية للكفاح ج 3 1986 .
26- عبد العزيز عتيق، " علم العروض والقافية " الشركة الدولية للطباعة، دار الآفان العربية، (د ط) 2004.
27- عبد الملك مرتاض." معجم الشعراء الجزائرين في القرن 20" ، مطبعة دار هومة، بوزريعة، الجزائر (د ط).
28- عثمان سعدي،" الثورة الجزائرية في الشعر العربي"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 2 ج1،1985
29- علي جازم مصطفى أمين " البلاغة الواضحة ودليل البلاغة "، دار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط) 2004 .
30- عمار بن زايد، "حركة النقد الأدبي الجزائري الحديث "، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، د ط 1990.
31- عمار بوحوش،" التاريخ السياسي للجزائر من البداية" 1962، دار الغرب الاسلامي بيروت، ط1.
32- عمر بن قينة، " في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما "، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون – الجزائر – ، ط 2، 2009.
33- غريد الشيخ، " المتقن في علم العروض والقافية "، دار النشر، بيروت لبنان، د ط، د س .
34- محمد أحمد قاسم، " علوم البلاغة (البديع والبيان والمعانى) "، المؤسسة الحديثة للكتاب – طرابلس لبنان ط1، 2003 .
35- محمد الطمار " تاريخ الأدب الجزائري" ، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون (الجزائر) د ط، 2006
36- محمد بن قاسم ناصر بوحجام، " الشعر والهوية القومية "، منشورات التبيين ظن الجاحظية سلسلة الدراسات، الجزائر، د ط، 1999 .
37- محمد بوزواوي " موسوعة شعرا العرب"، دار هومة للنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، د ط، 2010 .
38- محمد زغينة، " شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة د ط ، 2004 – 2005.

39- محمد صالح الجابرى، " الأدب الجزائري المعاصر " ، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، ط 1، 2005
40- محمد محمد طه هلالي، " توضيح البديع في البلاغة "، المكتب الجامعى الحديث الإسكندرية، ط1 1997.
41- محمد محمد يونس علي، " مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب "، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية – طرابلس – الجماهرية العظمى ط1، 2004 .
42- محمد ناصر، " رمضان حمود الشاعر الثائر"، المطبعة العربية، ط 1 ، 1978 .
43- محمد ناصر،" رمضان حمود حياته وآثاره" ، طبع بمطبعة دار هومة، الجزائر، ط 2 ، 2008.
44- محمود مطرجي، " في النحو وتطبيقاته "، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ط1 2000.
45- مختار عطية، " علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم دراسة بلاغية "، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، (د ط).
46- مصطفى بيطام، " الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954- 1962 " – دارسة موضوعية فنية – ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية بن عكنون – الجزائر–، د ط، 1998 .
47- الوناس شعباني، "تطور الشعر الجزائري من 1945 حتى 1980"، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط الجزائر.
48- يحي الشيخ صالح، " شعر الثورة عند مفدى زكريا – دراسة فنية تحليلية " دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة . الجزائر ط1 1978 .
49- يوسف ناوري، " الشعر الحديث في المغرب العربي "، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، ط 1 ، ج 1 2006 .

فهرس الموضوعات :

مقدمة

مدخل:الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية،الفكرية في الجزائر إبّان حياة رمضان حمود. 3

الفصل الأول : السيرة الذاتية لرمضان حمود

1 – حياته و ثقافته 7

2 – شخصيته 9

3 – شعره و شاعريته 10

الفصل الثاني : الوطنية في الشعر الجزائري

1 – مفهوم الوطن و الوطنية 24

2 – عوامل تطور الوطنية في الشعر الجزائري 27

3 – أبعادها 33

الفصل الثالث : تحليل قصيدة " دمعة على الأمة "

1 – المستوى التركيبي 44

2 – المستوى الدلالي 50

3 – المستوى الإيقاعي 53

خاتمة 57

قائمة المصادر و المراجع 58

فهرس الموضوعات 61